ISSN 2394-6628 (Vol-03 Issue 14) January 2018 مجلة التلميذ

Government of Jammu & Kashmir
Higher Education Department

Chief Patron
Dr.Asgar Hassan Samoon
(IAS)

مجلّة التّلميذ

Vice Chief Patron
Prof. Yaseen Ahmad Shah
Director Colleges

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

Monthly Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J&K Govt.
A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

سجّلوا انتصاركم بمداد الفخر

Director Journal
Prof. M.Muzaffar Husain Nadvi

Editor in Chief
Dr.Meraj ud Din Para Nadvi

دعوة المشاركة و شروط النشر:

تـدعـــو "مجلة التلميذ" الباحثين وأساتذة الجامعات والمتخصصين في اللغة العربية و آدابها من أرجاء العالم الإسلامي، لتقديم نتاجهم العلمي مما له علاقة بموضوعات المجلة وذلك للنشر بها.

يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

* أن يكون البحث أصيلا وجديدا، لم يسبق نشره في نشريات أخرى مهما كانت،ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي .

* ألاّ يقل عدد صفحات المقال عن 10صفحات ولا يزيد عن 15صفحة، بما فيها المصادر و الهوامش و الجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

*أن يكون المقال مطبوعا على الكومبيوتر وفق برنامج."Microsoft Word" بخطّ من نوع Sakkal Majalla

*تتحفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتالين لمؤلف واحد.

يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

ويجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة، أو أسماء أعلام ضبطها بالشّكل و تخريج الأحاديث والأبيات

*أن توضع الهوامش فكل صفحة وكذلك توضع المراجع والمصاد على آخر صفحة المقال ويراعى في طريقة التهميش المنهج التالي:

*الكتب: إسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الترجمة (إن وجدت)الطبعة دار النشر/الناشر،مكان النشر، وسنة النشر .

*المقالات: إسم ولقب المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، (الجهة التي تصدر عنها)، العدد، الصفحة.

*المراجع الالكترونية:اسم المؤلف،أو المنظمة "عنوان المقال"، العنوان الإلكتروني كاملا، تاريخ التصفح: اليوم، الشهر، السنة.

*المخطوطات:اسم المؤلف وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها .

*الصحف: إذا كان خبرا يكتب اسم الصحيفة، والعدد، والتاريخ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب، "وعنوان المقالة" واسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها (يومية، أسبوعية، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد، والتاريخ، والصفحة.

*يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، كما تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

*الدراسات التي تنشرها المجلة تُعَبِّر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: يمكنك ارسال بحثك العلمي الى لجنة التحكيم في المجلة العربية للنشر العلمي عن طريق: ارسال البحث الى الإيميل التالية:editor@tilmeezjournal.com موضحا اسم الباحث - عنوان البحث - وصف مختصر للبحث والباحث.

مجلة التلميذ

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر
عن وزارة التعليم العالي
و كشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتورأصغرحسن ساموں

(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسوريسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسورمحمد مظفرحسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتورمعراج الدين الندوي

مساعدوه

الدكتورة نور أفشاں

الدكتورعناية الله و اني الندوي

الدكتورفاروق أحمد ميرالقاسمي

الدكتورمحمد ريحان الندوي

الهـيـئــة الاستشارية / Advisory Board

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري	رئيس قسم العربيةسابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور كفيل أحمد القاسمي	عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور صلاح الدين تاك	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر
البروفيسور عبد الحميد شيخ	المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر كشمير
البروفيسور محمد سميع أختر	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور محمد فيضان بك	الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعةعليكرة الإسلامية
البروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم العربيةسابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسورمنظورأحمد خان	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
البروفيسور رضوان الرحمن	رئيس مركزالدراسات العربيةوالإفريقيةبجامعةجواهرلال نهرو
الدكتور ريحان أختر القاسمي	الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة
البروفيسور عبدالرحمن واني	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
البروفيسور شاد حسين	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير
البروفيسورمحمد أيوب تاج الدين الندوي	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بالجامعة الملية الإسلامية
البروفيسور السيد جهانكير	جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد
البروفيسور حبيب الله خان	رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية
الدكتور عبيد الرحمن طيب	الأستاذ المشارك بجامعة جواهر لال نهرو
البروفيسور عبد الرحمن وار	رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر،كشمير
الدكتور طارق أحمد آهنكر	الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير
الدكتورة تسنيم كوثر	الأستاذة المشاركة بقسم العربية بجامعةعليكرةالإسلامية
د.زكريا السرتي المغربي	المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
د. تيسير محمد أحمد الزيادات	المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
د. معراج أحمد معراج الندوي	الأستاذ المساعد بالجامعة العالية،كولكتا- الهند
الدكتور رضوان بلخيري	رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث ومحاضر بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة العربي التبسي تبسة الجزائر

الآراء المنشورة في مجلة "التلميذ" تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

ISSN 2394-6628 (Vol-03 Issue 14) January 2018 مجلة التلميذ

AL-TILMEEZ

Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J & K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد :

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتجلى معاني الحكمة والبيان، علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل من الكلمة طريقًا إلى النور، ومن العلم سُلَّمًا إلى الفهم، ورفع من شأن طالبيه، فكانوا خير الناس و أقربهم إلى الحق. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على من أُوتي جوامع الكلم، فكان كلامه فصاحة، وسكوته حكمة، سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قرّاءنا الأكارم،

نُطلّ عليكم بكل فخر وسرور بهذا العدد السادس عشر من *مجلة التلميذ*، لشهر يناير من عام 2018 للميلاد، وهو عدد يحمل بين صفحاته عبير الفكر وأريج اللغة، ويحفل بمضامين تنبض بالحياة العلمية، وتفيض بمعاني الأدب، وتستعرض زوايا مختلفة من الرؤى اللغوية والثقافية، التي تعكس في مجملها وعيًا متناميًا بالمسؤولية العلمية، وحرصًا عميقًا على إحياء مكانة اللغة العربية في عصرٍ تتصارع فيه الثقافات وتتباين فيه المشارب.

لقد دأبت *مجلة التلميذ* منذ انطلاقتها المباركة على أن تكون منبرًا فكريًا شامخًا، ومنارة معرفية تنشر نور العلم، وترتقي بأهل الفكر والبحث، وتُتيح لهم منبرًا يُعبّرون فيه عن رؤاهم واجتهاداتهم في ميادين الأدب، واللغة، والتاريخ، والثقافة، والدراسات الإسلامية. ولم يكن صدور هذا العدد إلا ثمرة للجهود المتضافرة من هيئة تحرير واعية، وباحثين فضلاء، و أقلامٍ نابهة، آمنت بقيمة الكلمة وقدسية الرسالة، فكانت بحق لبنة أخرى تُضاف إلى بناء رصين من الفكر المتزن والمعرفة النافعة.

إن المجلة في هذا العدد -كما في أعدادها السابقة– تستمر على خطها الرصين، متبنيةً المنهج العلمي الدقيق، واللغة الأصيلة، والهدف الأسمى، وهو خدمة اللغة العربية ونشر علومها في شتى بقاع الأرض، والتواصل مع القراء من كلّ المستويات، من الأساتذة والمتخصصين، إلى الطلبة والناشئة والمهتمين، لتكون المجلة بحق جسرًا بين الأجيال، ورابطًا بين العقول، وميدانًا تتلاقى فيه الأفكار وتتفاعل.

وها نحن نُقدّم هذا العدد الذي عكفنا على إعداده بجدٍ وتأنٍّ، ليكون باقةً علمية وأدبية تسرّ القارئ،

وتثري الباحث، وتُلبي حاجة الدارس والمحب للغة الضاد. وقد ضمّ هذا الإصدار موادّ علمية متنوعة، جاءت من مشارب متعددة، وزُيّنت بأساليب راقية، في محتوى وأسلوب، لتُشكل في مجموعها لوحةً فكريةً متكاملة، تعكس بصدق نبض الحركة الثقافية والبحثية الراهنة.

وقد حرصنا أن تظل المجلة وفيّةً لهويتها، لا تحيد عن هدفها النبيل، ولا تساوم على قيمها التي بنيت عليها، فهي مجلة علمية أدبية ثقافية، تُعنى بالإنتاج الأصيل، وتمنح الفرصة للباحثين أن يُقدّموا عصارة جهدهم للقراء والمهتمين، وتعمل على ترسيخ قيم البحث والابتكار واللغة السليمة، دون أن تنجرّ وراء الإثارة أو تفرّط في المصداقية العلمية.

وإن مما يدعو للفخر أن *مجلة التلميذ* استطاعت أن تفرض وجودها على الساحة الثقافية كمنبر حر، ومجال مفتوح أمام كلّ من يؤمن بقيمة الكلمة وحرية الرأي وأمانة الفكر، وقد نجحت عبر أعدادها المتتالية أن تكسب ثقة الباحثين، وتشدّ القرّاء بما تقدمه من محتوى أصيل وشامل.

وفي هذا المقام، نُسجّل عميق الشكر والامتنان لكلّ من ساهم في إخراج هذا العدد، من كُتّابٍ ومحرّرين ومراجعين، كما نخصّ بالشكر الباحثين الذين تكرموا بإرسال أعمالهم العلمية، و أثروا المجلة بمقالاتهم ودراساتهم. كما نوجه دعوتنا المتجددة إلى سائر المهتمين والمبدعين، أن يتخذوا من هذه المجلة منصةً للتعبير، ومجالًا للنشر، وإطارًا للتعاون العلمي البنّاء.

أحبّتنا القرّاء،

إننا نؤمن بأن المجلة لا تكتمل رسالتها إلا بتفاعلكم، و اقتراحاتكم، وملاحظاتكم، فأنتم شركاؤنا الحقيقيون في صناعة هذا الحراك الثقافي، و أنتم الوقود الذي يدفع سفينتنا إلى الأمام. فكونوا معنا دائمًا، دعمًا، ونصحًا، ومساهمةً، لنصل معًا إلى آفاق أرحب من التميز والإبداع.

وفي الختام، نسأل الله تعالى أن يكون هذا العدد نافعًا، ماتعًا، يُلهم الفكر، ويغذّي الروح، ويحفّز العقل، وأن يجعل هذه الجهود خالصة لوجهه الكريم، وأن يُبارك في كلّ من أعان وساهم وشارك.

والله وليّ التوفيق،

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مرحبًا بكم في رحاب هذا العدد المبارك، فاقرؤوه بكل شغف، وتأملوا صفحاته بكل حبّ، ولعلّكم تجدون فيه ما يُرضي الذائقة، ويُشبع الفكر، ويمنحكم متعة التعلّم وبهجة الاكتشاف.

صلات الفعل "جَهِلَ يَجْهَلُ جَهْلًا

(في ضوء كلام العرب)

د. أورنك زيب الأعظمي[1]

Abstract: **Like some other foreign languages Arabic enjoys with peculiar use of prepositions for a single verb. For example, '*alima ya'lamu 'ilman*which is used with three different prepositions (bā, fī and min) as it is used without preposition. Similaly *balagha yablughu bulūghan* which has different prepositions 'ilá' is one of it. These prepositions, when used, bring a significant change into the original meanings of the verbs. Such useages are called '*taḍmīn*' or '*ikhtilāf al-ṣilah wa al-fi'l*' as named by the great scholars of India Imām 'Abdul Ḥamīd Farāhī.In the following short article different prepositions of the verb '*jahila yajhalu jahlan*' is discussed in the light of the Arabic poetry of citation periods.**

الملخص: اللغة العربية كمثل بعض اللغات العالمية تتمتع من تعددية الصلات ومن هنا بتعددية المعاني والمدلولات فخذ- مثلًا- فعل عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا يأتي متعدّيًا بنفسه كما يأتي لها ثلاث صلات وهي الباء وفِيْ ومِنْ وكذا يستعمل متعدّيًا بمفعولين يأتي لمفعوله الثاني صلة (مِنْ) وهو كذلك خلاف العلم كما قال النابغة الذبياني:

ينبيكِ ذو عرضهم عني وعالمهم،	وليس جاهلُ شيء مثلَ من علِما[2]

وقال عوف بن الأبرص:

فهل لك في بني جحر بن عمرو	فتعلمه وأجهله، ولاء[3]

وسنتاوله بالبحث في مقالة أخرى إنْ شاء الله تعالى.

وفي هذه العجالة نودّ أنْ نلقي بعض الأضواء على مختلف صلات الفعل (جَهِلَ يَجْهَلُ جَهْلًا) وكم منها أشار إليها كبار اللغويين وأصحاب المعاجم.

الكلمات المفتاحية: العلم، الجهل، الصلات، المعاجم، كلام العرب و القرآن الكريم.

المدخل: اللغة العربية، كمثل اللغات العالمية الأخرى، تتغيّر معاني الأفعال فيها بتغيّر حروف الجرّ (صلات الأفعال) مثل فعل "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً" فإذا دخلت عليه "إلى" دلّ على معنى الميل والهوى، وإذا دخلت عليه "عَنْ" دلّ على معنى التنفّر والإعراض، وإذا دخلت عليه "فِيْ" دلّ على معنى الرغبة والطمع، وحتى إذا دخلت عليه "الباء" و"عَنْ" معًا دلّ على معنًى آخر يختلف عن هذه المعاني كلها. وقد كثر استخدام هذا الأسلوب في كلام العرب والقرآن الكريم حتى

ادّعى بعض اللغويين أنهم يتمكّنون من تقديم مجلّد ضخم يجمع أمثلة هذا الأسلوب. يسمّيها معظمهم بـ"التضمين" بينما سمّاها الإمام عبد الحميد الفراهي (1930م) بـ"اختلاف الصلة والفعل".[4]

ومن مثل هذه الأفعال فعل "جَهِلَ يَجْهَلُ جَهْلًا" فجاءت له خمس صلات وهي البَاءُ وعَلَى وعَنْ وفِيْ ومِنْ كما يستخدم بدون الصلة فقال تأبط شرًا:

وليلٍ بهيمٍ كلما قلت غوّرت	كواكبه عادت فما تتزيّل
بها الركب، أيما يمّم الركب يمّموا	وإن لم تلح فالقوم بالسير جُهَّل[5]

وقال عبيد بن الأبرص:

اللهُ يعلمُ ما جهلتُ بعقبهم	**وتذكّري ما فات أيَّ أوان[6]**

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

أجئتَ محمدًا عظمًا رميمًا	**لتُكذِبَه و أنت به جَهُول[7]**

وقال الأخطل:

و انزعْ إليك فإنني لا جاهلٌ	**بكم ولا أنا إن نطقتُ فَحوم[8]**

يبدو من تتبع استعمال صلة الباء أنها تعني الشدة في الأمر فمثلًا عَلِمَ به يعني المعرفة الدقيقة عن الشيء كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

فليت خبيبًا لم تخنه أمانةٌ	**وليتَ خبيبًا كان بالقوم عالما[9]**

وقال ربيعة بن مقروم:

وقومي، فإن أنت كّذّبتَني	**بقوليَ فاسئلْ بقومي عليما[10]**

وكذا بَصُرَ به يعني النظر الدقيق في الشيء كما قال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

لحا الله هذا الدهرَ إني رأيتُه	**بصيرًا بما ساء ابنَ آدمَ مُولعا[11]**

وقال كعب بن زهير:

أمين الشظى عبلٍ إذا القومُ آنسوا	**مدى العين شخصًا كان بالشخص أبصرا[12]**

ومن خصـــائص اللغة العربية أنها تســـتخدم صـــلة فعل لفعل ضـــده للدلالة على نفس الشـــدة في ذلك الفعل الضد.[13] ومثله مثل رَضِيَ عليه ضد سَخِطَ عليه وأحْسَنَ إليه ضد أسَاءَ إليه وهكذا دواليك. فالجهل بالشيء يعني الجهل التامّ في الشيء وهو ضدّ العلم بالشيء.

وأما صلة "على" فقال مهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس:

يا حارِ لا تجهل على أشياخنا	**إنا ذوو السَورات والأحلام[14]**

وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا[15]

وقال أوس بن حجر:

يا راكبًا إما عرضتَ فبلّغنْ	**يزيدَ بن عبد الله ما أنا قائل**
بآيةِ أني لم أخنك و أنه	**سوى الحقّ مهما ينطق الناس باطل**
فقومَك لا تجهل عليهم ولا تكن	**لهم هرِشًا تغتابهم وتقاتل**
وما ينهض البازي بغير جناحه	**ولا يحمل الماشين إلا الحوامل[16]**

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

وحرَّق نابَه ظلمًا وجهلًا	**عليّ فقد أتى ذمًا وعارا[17]**

فالجهل بصلة "على" كما يعني المرور الجاهل على الشيء فكذلك يعني ممارسة الظلم عليه.

وأما صـــلة "عَنْ" فلم أجد لها شـــواهد كثيرة ولعل أصـــحاب المعاجم مثل ابن منظور (1311م) والزبيدي (1790م) وسعيد الخُوري (2014م) لم يجدوها فلم يشيروا إليها في معاجمهم. يقول عبيد بن الأبرص:

يا أيها السائل عن مجدنا	**إنّك عن مسعاتنا جاهل[18]**

وأنشد عمرو بن العاص الرجز التالي:

إنّ القضاة إن أرادوا عدلا	ودفعوا قولَ الخصوم فصلا
وزحزحوا بالحكم عنهم جهلا	كانوا كغيث قد أصاب محلا[19]

وقال مُزاحِم العُقَيلي:

غدتْ مِن عليه بعدما تمّ خِمسُها	**تصِلُّ وعن قيضٍ ببيداء مَجهل[20]**

ولعل هذا هو الســـبب الذي حمل ابن الشـــجري (1147م) على أنْ يقول في شـــرح بيت عبيد المذكور أعلاه: "أراد (الشاعر) بمسعاتنا فأدخل عَنْ مكان الباء."[21]

و الحقيقة أنّ العرب يستعيرون صلة فعل على أسلوب التضمين فمثلًا ذَهَبَ فيه لمعنى هَامَ فيه، ونَزَلَ إليه لمعنى لَجَأ إليه، وبَلَغَ إليه لمعنى وَصَـلَ إليه وهلمّ جرًا. فالجهل بصـلة "عَنْ" يعني العمي عنه والذكر عنه والنوم عنه وهو درجة أولى للصفح عنه والعفو والغفران.

ويعضّدها أنها أيضًا صلة السؤال والخبر فقال السموأل:

سلي، إن جهلت، الناس عنا وعنهم	فليس سواء عالم وجهول[22]

وقال عنترة بن شداد العبسي:

فإن يكُ عن شأنه سائلًا	**فإنّ أبا نوفلٍ قد شجِب[23]**

وقال عنترة أيضًا:

سل المشرفيّ الهندو اني في يدي	**يخبّرْك عني أنني أنا عنتر[24]**

وقال تأبط شرًا:

إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عذلي	**أن يسئل الحيّ عني أهلَ آفاق**
أن يسئل القومُ عني أهلَ معرفة	**فلا يخبّرهم عن ثابتٍ لاق**
سدّدْ خلالَك من مالٍ تجمّعه	**حتى تلاقي الذي كلُ امرئ لاق[25]**

وأماصلة "مِنْ" فقال عمرو بن كلثوم:

تالله إما كنتِ جاهلة	من سعينا فسلي بنا كلبا[26]

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

فمن يك جاهلًا من آلِ لأمٍ	**تجدني عالمًا بهمُ خبيرا[27]**

وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه:

أصبحتُ مني يا ابن حربٍ جاهلًا	**إن لم نرامِ منكم الكواهلا[28]**

و"مِنْ" هنا تعني "عَنْ". وكلتا الصـلتين تنوب بعضـهما البعض كما قال العلامة محمد طيّب المكي (1916م) صـاحب كتاب "النفحة الأجملية في الصلات الفعلية":

"فإن قلت إن "مِنْ" قد تتوارد مع "عَنْ"،و"عَنْ" إنما تتعدى على معنى الانفصـــال قلنا لك إنّ "مِنْ" إذا قامت مقام "عَنْ" فإنما تقوم مقامها لما بينهما من التشـــابه، وذلك لأن التبعيض مســـتلزم للانفصـــال والبعد فمن هذه الجهة اشتركا".[29]

و لفعل الجهل صلة أخرى لم يذكرها اللغويون أيضًا وهي (فِيْ) فقال أبو ذويب الهذلي:

فإنْ تزعميني كنت أجهلُ فيكم	فإني شريتُ الحلمَ بعدك بالجهل[30]

والضمير في "فيكم" استخدم للحبيب، والأمثلة على ذلك كثيرة فقال الأعشى الكبير:

فما فَضَّنَا من صانعٍ بعد عهدكم	فيطمع فينا زاهرٌوالأصارم[31]

وقال أبو صخر الهذلي:

بيد الذي شَعَفَ الفؤادَ بكم	تفريجُ ما ألقى من الهم[32]

وقال أيضًا:

فتعلّمي أنْ قد كلِفتُ بكم	ثم افعلي ما شئتِ عن علم[33]

ومثلها مثل الباء فكما أنّ الباء تعني الشـــدة في الشـــيء فكذلك فِيْ تعني الرغبة أو التنفر فرَغِبَ فيه وطَمِعَ فيه وبَخِلَ فيه كمازَهِدَ فيه ولَجَّ فيه ووَهِلَ فيه كما قال الأعشى الكبير:

وربَّك لا تشرك به إنّ شركَه	يحطّ من الخيرات تلك البو اقيا
بل اللهَ فاعبد لا شريك لوجهه	يكن لك فيما تكدح اليومَ راعيا
ولا تزهدنْ في وصلِ أهلِ قرابة	ولا تك سبعًا في العشيرة عاديا
وإمّا امرؤ أسدى إليك أمانةً	فأوفِ بها إن مِتَّ سُمِّيتَ و افيا
وجارةَ جنبِ البيت لا تبغِ سرَّها	فإنّك لا يخفى على الله خافيا[34]

وقال كثيّرعزة:

وأجمعُ هجرانًا لأسماءَ إنْ دنتْ	بها الدارُلا من زهدةٍ في وصالها[35]

وقال النابغة الذبياني:

فدعها عنك، إذ شطّتْ نواها،	ولجّت، من بعادك، في غرام[36]

عنترة بن شداد العبسي:

ألا يا عبلَ قد زاد التصابي	ولجّ، اليومَ، قومُك في عذابي[37]

وقال عدي بن زيد الإيادي:

والحضرُ صابت عليه آشيةٌ	من ثغرةٍ أيّدٍ مناكبها
ريبةٌ لم توقِ والدَها	لحبّها إذ يضاع راقبُها
أجشمها حبُّها لما فعلتْ	إذ نام عنها للغيّ حاجبُها
إذ غبّقتْه حمراءَ صافيةً	والخمرُ وهلٌ يهيم شاربُها
وأسلمتْ ربَّها بليلتها	تظنّ أنّ الرئيسَ خاطبُها
فكان حظُّ العروس إذ برق الـ	ـصُّبحُ دماءً تجري سبائبُها
وحُوِّر الحضرُ واستبيح وقد	أُحرِق في خدرها مشاجبُها[38]

وهكذا يستخدم الفعل بدون الصلة كما قال امرؤ القيس:

نازعتُه كأسَ الصبوح ولم	أجهل مُجدةَ عُذرةِ الرجل[39]

وقال عوف بن الأبرص الجاهلي:

فهل لك في بني جحر بن عمرو،	فتعلمه وأجهله، ولاء[40]

وقال قيس بن الملوّح:

إنّ الغواني قتّلتْ عشّاقَها	يا ليت من جهل الصبابةَ ذاقها[41]

خلاصة البحث: علمنا من هذا البحث الوجيز أنّ اللغة العربية، مثل اللغات العالمية الأخرى، تتعدد فيها صلات فعلٍ واحدٍ، وأنّ هذه الصلات تلعب دورًا ملموسًا في تدريج معناها كما تقوم بتوسيع نطاق مدلولاتها، فمن غفل عن هذا الجانب اللغوي أو جهل عنه فعسى أنْ يفوته جزء كبير بل متميز من معاني الكلمة ومدلولاتها. وكذا بدا من هذا البحث أنّ المعاجم لا تعطينا كافةَ صلاتِ فعلٍ واحدٍ وذلك إما لقصر باع صانعيها أو لاتكالهم على مَنْ سَبَقَهم فجروا وراءهم صمًا وعميانًا. فالأحسن بنا أنْ نراجع كلام العرب والقرآن الكريم لنحيط، قدر المستطاع، بصلات فعل واحد ومن ثم بمدلولاته المتعددة.

المصادر والمراجع

الأشباه والنظائر في النحو ،جلال الدين السيوطي،تحقيق:د.عبد العادل سالم مكرّم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م

أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ،سعيد الخوري الشرتوتي اللبناني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط1، 1374هـ

تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م

التذكرة الحمدونية لابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبسكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م

ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م

ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3

ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م

ديوان السموأل، شرح وتحقيق، علي سابا، مكتبة صادر، بيروت، د.ت

ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6

ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، 1996م

ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، 1996م

ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م

ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم)، ط1، 1988م

ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م

ديوان بِشر بن أبي خازم الأسدي، تقديم وشرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م

ديوان تأبط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، شرح: ضابط بالحربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت

ديوان عبيد بن الأبرص، بشرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م

ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م

ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحقّقه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م

ديوان قيس بن الملوّح- مجنون ليلى، دراسة وتعليق: يُسري عبد الغني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م

ديوان كُثَيِّر عَزّة، جمع وشرح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م

ديوان كعب بن زهير، تحقيق: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م

ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.

ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د.ت.

رسائل الإمام الفراهي للإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ط2، 1991م

شرح ديوان الحماسة،كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت، 2000م

شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م

شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع وتنسيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1985م

شعر مزاحم العقيلي، تحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، 1971م

لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.

مجلة الهند الفصلية المحكمة الصادرة عن مولانا أئيديل إيجوكيشنال ترست، بولبور، بنغال الغربية

[1] مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

[2] ديو انه، ص 112

[3] ديوان المفضليات، ص 175

[4] رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، 199/1 ومجلة الهند، 603-594/4/9

[5] ديو انه، ص 160

[6] ديو انه، ص 121

[7] شرح ديو انه، ص 272

[8] ديو انه، ص 310

[9] شرح ديو انه، ص 329

[10] ديوان المفضليات، ص 183

[11] ديو انه، ص 91

[12] ديو انه، ص 24

[13] الأشباه والنظائر في النحو، 119-118/2

[14] ديوان الأصمعيات، ص 156

[15] ديو انه، ص 78

[16] ديو انه، ص 99

[17] شعره، ص 114

[18]مختارات ابن الشجري، ص 348

[19] التذكرة الحمدونية، 181/3

[20]ديو انه، ص 120 والأرض المجهل التي لا أعلام فيها.

[21] مختارات ابن الشجري، ص 348

[22] ديو انه، ص 14

[23] شرح ديو انه، ص 23

[24] شرح ديو انه، ص 80

[25] ديوان المفضليات، ص 30

[26] ديو انه، ص 24

[27] ديو انه، ص 74

[28] ديو انه، ص 75

[29] النفحة الأجملية في الصلات الفعلية، ص 37

[30] ديوان الهذليين، 36/1

[31] ديو انه، 245/1

[32] شرح ديوان الحماسة، 748/2

[33] شرح ديوان الحماسة، 749/2

[34] ديو انه، 614/2

[35] ديو انه، ص 92

[36] ديو انه، ص 65

[37] شرح ديو انه، ص 34

[38] ديو انه، ص 47-48

[39] ديو انه، ص 131

[40] ديوان المفضليات، ص 175

[41] ديو انه، ص 54

دراسة الموازنة الأدبية بين الشاعرين النجيريين "ألبي الإلوري" و"غمبا النصرواي" في شعر الالتزام

بقلمي

د. يحيى عبد الباقي زكريا

و

د. ذكر الله أيوفي الشافعي

المحاضران بقسم اللغات، شعبة العربية، جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.

yahbaqy@gmail.com 07039662149

Abstract: **A literate shall remain in all times folk and aspiration of his people, through which his ideas and philosophy unadorned speak of the society he depicts, as he preserves the origin of his language and culture. Thus, a literate is one of the two sides, he may choose to serve as the tongue of the leaders, defending their policies and promoting their ideologies and governance strategies, or choose to stand to defend the human right of the populace against the oppression and social injustice of the rulers.**

Nigeria as a diverse country in ethnicity, religion, culture and social value has a substantial component for the promotion of literature and poem. It is from this background that Alabi and Gimba pluck absorption in literature, particularly, in poem in order to liberate their inhabitants on day to day events that are making non let slip and unimaginable news among populace.

This paper is set to come up with a comparative analysis between Alabi and Gimba in their literature work on poem of obligement. The fact that the two poets belong to two different ethnics background and profess two different civilization Arabic and English, only that; they had many similarities that make some of their literature work took the same direction, which is the essence of this research. The paper is discussed in five sub- segments after the introduction and preamble.

ملخص : سيظلّ الأديب حكما وشعبيا ما دام آبقا في فكرته على فعاليات، وتجليات المجتمع الذي يمثله، ومحافظة في لغته على تقاليدهم وعاداتهم. والأديب أحد الطرفين إما لسان الدولة، فيكون في ذلك مادحا لها في صنائعها، راوجا في مدح رجالها، أويكون لسان الرعية، فيدفع عن حرمتهم وحريتهم.

وو اقع نيجيريا في اجتماعيتها على أسس القبائل المختلفة، وفي سياستها على عمدة الديقراطية، وفي اقتصاديتها على نمط رأسمالي، وفي اعتقاد قومها على أديان مختلفة، فإن هذه وتلك مؤثرات قوية للشعرخاصة وللأدب عامة، ولول الموهبة، وطلب طول النفس في قرض الشعر، لصلح لكل شخص ذكرا أم أنثى في هذا الوطن أن يعبرعن ظلام ضميره، لأنه يشهد في كل لحظة وقائع وأحداث تجدرعلى إيقاظ العاطفة والشعور، ومن ثم، فقد استطاع الشاعرالإلوري ألابي والنصراوي غمبا ليرفع رأسهما من بين عدد غفيرمن سكان هذا الوطن، فقالا

الشعر في الالتزام، والحرية الإنسانية، والشاعران وإن اختلفا في أصل ثقافتهما؛ هذا مستعرب، وذاك مستغرب، فإنهما تلاقيا في أصول أدبية متعددة، لأنهما قصدا غرضا واحدا في بيئة واحدة. وعلى هذا الأساس، نوت هذه المقالة لتقوم بالموازنة الأدبية بين شعرهما في الالتزام والحرية، وقد تم تحديد المقالة في العناصر التالية: التمهيد، ونبذة عن الشاعرين، نماذج من شعر الالتزام للشاعرين، موارد الاتفاق بين الشاعرين، مخصصات الشاعرين، مؤخذات الشاعرين، الخاتمة، المصادر والمراجع.

التمهيد: الموازنة: مصدر ميمي من وَزَنَ يزن على زنة فعل يفعل، والوزن رمز الثقل والخفة، قال الليث: الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، والحديد الموازين، واحدها ميزان، ويطلق على الآلة التي توزن بها الأشياء الميزان، قال تعالى: "ونضع الموازين القسط"، ويقال وزن فلان شيئا إذا كاله، وقدره، ويقال: وزنت فلانا ووزنت لفلان، ووازنت بين الشيئين موزانة ووزانا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه.(1)

ويراد بها في الاصطلاح الأدبي دراسة يتم من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره، ورجاله، قصد الإيضاح والترجيح.

الالتزام: من لزم يلزم لزوما، والالتزام مصدر مزيد بالألف والتاء التزم على زنة افتعل، والالتزام: الضمان، يقال التزمت أمرا أي ضمنته.(2)

وفي الاصطلاح، فقد حدد الأدباء له تعريفات عدة تبعا لمذاهبهم ومناهجهم، ومنهم (نورمان مالر) الأمريكي الذي وصفه بأنه بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداما أفضى إلى الفوضى. وأما الأدباء الإسلاميون فيرونه وجهة نظر إسلامية في الأدب، ذلك بأن الأديب المسلم ملتزما بمنهج شامل في الحياة، يعبر عنه بالقول والعمل، ويتمثله في وحدته مع نفسه، وفي اندماجه مع أفراده.(3)

ومن هنا يتضح أن أدب الالتزام قضية تسعى وراء الحرية الإنسانية، ويحرس انحرافاتها، ويبرزلها معالم الطريق، ويقودها إلى مشارف السعادة الحقيقية، سعادة العقلاء المتزنين، لا سعادة المجنون الذي تركوه في مصنع الزجاج. وقد ورد له تسميات أخرى غير ما ذُكر سابقا، ومنها: أدب ملتزم، وأدب هادف، وغيرهما.

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه القضية الحساسة لا تفقد من أعمال فحول الشعراء في أي وطن من الأوطان، بل تتقوى وترتفع شأنا أكثر في المناطق الأفريقية، لأسباب لا تخفى على أحد، مثقفا كان أو مقلدا. وعلى هذا الأساس فقد شارك ألبي وغمبا في دفاع عن حرية الشعب النيجيري بشعرهما الملتزم الرائع، وقد قام الباحثان ليوازنا بين الشاعرين، دلالة على أنهما ينتميان إلى مدرستين لغويتين متضادتين، هذا عبّر عن ضميره تجاه أبناء جنسه في العربية وذاك بالانجليزية، وتربطهما وحدة الهدف والغاية، وسيأتي تفصيل هذا في مستقبل المقال بإذن الله.

نبذة عن عيسى ألبي أبي بكر الإلوري

حياته ونشأته:

هو عيسى ألبي بن أبي بكر، ولد بمدينة كماسي الغانوية لأبوين إلوريين عام 1953م، نشأ نشأة صبيان الإفريقية في زمانه في غانة على ثقافة إسلامية هادفة، فتعلّم القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية على أيدي مشايخ إلورن، ثم أدخلته جدّته حليمة السعدية مركز التعليم العربي الإسلامي وفيه حصل الشهادتين الإعدادية، والتوجيهية،(1965-1971) وفيه نبغ في الشعر العربي نبوغا أعجب به مشايخه، وأساتذته، وزملائه.

وفي عام (1976-1979م) حصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو، والماجستير في عام (1984-1985) في نفس التخصص والجامعة، وعلى الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن، ما بين (1982م) و(2000م) والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض في (1990م).

عمل مدرّسا ردحا من الزمن في أحد فروع المركز الأم بإيجبو، فدار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن، الذي ظلّ فيه مناظرا، وذلك ما بين 1984-1994م، ومحاضرا في قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، قبل أن ساقه الحظ بالعودة إلى بلدته إلورن عام 1994م، منتقلا إلى جامعة إلورن حيث يعمل حاليا محاضرا للغة العربية وآدابها، ومديرا لمركز الانضمام الدراسي بين عام 2010-2014، وقد تم له قضاء سنة إجازة العمل بجامعة ليغون بدولة غانا محاضرا في اللغة العربية.(4)

كان فضيلة الدكتور عيسى ألبي زميل والدي في الدرب، فهو إذا أبي تبعا لعادتنا الإفريقية، ويتمثل في الصدارة من بين فحول الشعر العربي في نيجيريا، وكما يعدّ فارسا من فرسانه المتحكمين فيه. يمتاز شعره بكل ما يتصف به الشعر الجيّد، من حسن الديباجة، وكعب المعاني، وقوة التأثير، وروعة النظم، والوحدة الفنية والعضوية. وقد منحته هذه القدرة الشعرية بجائزة الفوز بالدرجة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض في أحد تنشيطها الأسبوعي توعية على مضار التدخين عام 1991م، وله قصائد منشورة في مجلات علميّة محكمة في نيجيريا وبلاد العرب.

ويرى د.جمبا أنه" يحيي بشعره المناسبات الدينية، والإجتماعية، ويملأ الأمسيات الأدبية بالآلي والدرر من جود قرائحه، فلا غرو إذن أن أصبحت قصائده قيثاره الأدباء، ونأي عشاق العربية وطلابها في هذه الديار، يجد فيها كل ضالته المنشودة، وهذا الديوان وعاء لتجربة الشاعر وفلسفته ونظرته في الكون زهاء ثلاثة عقود من الزمن".(5)

وله دواوين شعرية محكمة، ومؤلفات منشورة وغير منشورة، منها: ديوان الرياض، والسباعيات، وصوت

الخاطر، ومن مؤلفاته: "دراسات في شعر الجهاد لدى محمد بلّو" و"أساليب بلاغية لدى الشيخ عبد الله" و"أعمال العلامة الإلوري قراءة وتلخيص". وعن مقالاته في المجلات العلمية عن البحر حدّث فلا حرج.

نبذة عن أبي بكر غمبا النصراوي:

مولده ونشأته: ولد الشاعر غمبا بقرية لافيا، في إمارة لاَبَيْ، ولاية نصراوى النيجيرية في العاشر من شهر مارس عام ألف وتسعمائة و اثنين وخمسين الميلادي (1952م)، وأصل أبويه من ولاية نيجر، أقبل على المناهج التعلمية والتربية الناشئة في شبابه، قبل التقائه بجامعة أحمد بلو بزاريا عام ألف تسعمائة وسبعين، وتخرّج منها بشهادة بكليورس في علم الاقتصاد عام 1974م، ثم التحق بجامعة شنشننتي (Cincinnati) في الولاية المتحدة بأمريكا وحصل على الماجستير في علم الاقتصاد عام 1976م، وشارك في برنامج تخطيط مشروع للبنية بجامعة "برادفورد" Bradford ببرطانية عام 1982م.(6)

عمل غمبا ردحا من الزمن كمصرّف حتى وصل مرتبة المدير التنفيذي لمصرف "المصرف المتحد للإفريقية" (UBA) ومصرف "اتحاد المصرف لنيجيريا"، وكما عيّن أمينا دائما لتخطيط التمويل والاقتصاد تحت "دَفِيد ماك" Davic Mark كحاكم ولاية نيجر، وعيّن كذلك مستشارا للشئون السياسية في عهد غُدْلوك جَونَاتن Good Jornanthan

نال جوائز عدة منها، جائزة ترتيب الجمهورية الفدرالية Order of the Federal Republic (OFR) ، ولجدارة ذكائه وضخم ذاتيته، ومهارته في الكتابة والشعر، عيّن رئيسا وسكرتيرا لمؤسسات متعددة داخل الوطن وخارجها، ومن أهمها: رئيس اتحاد الكتاب النيجيريين، Association of Nigerian Authors (ANA). وعيّن مراقبا لانتخاب رئيس جَوْرج بُوشِ الصغير George Bush Jr بوشنطن (Washington). ومع هذا كله هو رجل اجتماعيّ، وقد تزوج بثلاث امرأة، ورزق منهن عدد غفير من الأولاد.

للترجم له مصنفات عديدة في المسرحية، ودواوين في الشعر الانجليزي، منها:

Trail of Sacrifice,

Innocent Victims,

This Land of Ours

وغير هذه الثلاثة من دواوينه ما لا يسمح لنا الحال ذكرها، وستتركز المقالة على بعض أشعاره في ديوانه *This Our Land*. لمو افقة أفكاره فيها مع ما ورد من نظيره الشاعر النيجيري العربي عيسى ألبي في عنوان متقابل "جروح بلادي"، وإليك نماذج من أشعارهما في أدب الالتزام.

نماذج شعر الالتزام لدى الشاعرين:

النموذج الأول لامية ألبي "جروح بلادي" وفي وصف حزنه لما وضع بلاده نيجيريا في عداد الدول التي تفشى فيها الفساد بشتى الألوان، فقال:

جروح بلادي متى تندمل ونضج رجالي متى يكتمل
تمرّ علينا السنون بلا جهود تعلّلنا بالأمل
تئنّ بلادي وصورتها مشوّهة عند كل الدول
ضميري يؤلّمه قولهم (نيجيريا) مكتظة بالعلل
بلادي عن حجم خيراتها و أنجابها في الورى لا تسل
فهل ذاك أجدى العباد وهل أفادهم في جواز الوجل
مآسي بلادي متى تنتهي جروح بلادي متى تندمل(7)

وفي المقابل تلقى نظيره غمبا يحزن على فساد بلاده نيجيريا في قصيدته (A PEACE ZONE) التي يقول في مطلعها:

There are no artilleries here
No armored vehicles, no war planes
Only a few dead bodies
For skirmishes over a trespass by an ant
A Minor infraction on our sea of calm
This is a peaceful country
Not a war zone
No prisoners war, no concentration camps
Only wailing widows
And crying orphaned children
For a dispute over water rights
A minor blight from battles with clubs
Not enough to stampede peace into flight
This is a peaceful country
Not a war zone
Where only guns and bombs boom (8)

النموذج الثاني: نونية ألابي "بلادنا والظلام" في وصف حالة الكهرب في نيجيريا السيئة

بلادنا والظلام سيّان وأمر هذا الفساد أعياني
أين رئيس موفّق يقظ ينقذنا من بر ائن الجاني
وليلة ظلمة أكابدها أبيتها مثل قلب شيطان
سوادها مثل فحمة منعت لخوفها من خروج فيران
خيول هذي البلاد جامحة أعيت طويلا عقول فرسان

كتائب القوم-أين قائدها تسير في الغيّ مثل حيران

رجعت من (غانا) وهي تهرني نورا وقومي في ظلمة العاني(9)

وعلى الوجه المقابل يصف نظيره غمبا حالة الأمن وقطاع الطرق في نيجيريا في قصيدته (THE BATTLE FRONT). هذا ولا شك فإن قضية الكهرب، والأمن وتوفير الماء من الأساسيات الإجتماعية التي تعدّ من حرمات الإنسان لاتي لا بدّ من توفيرها لدى كل حاكم أو دولة. ويقول غمبا في عرض حزنه على حالة الأمن في نيجيريا:

On the highways, far from the towns
Under the dark blanket of the night,
When journeymen dream of unwitnessed arrival
Smooth, uninterrupted ride
A joy not even a log across the road could mar
Just a little delay, a police road-block stares
But them…!
A staccato of bullets from the bush!
Soldiers of the night, without uniforms
With assorted guns threatening with death
Money is all the storm and rain of blood
For your life you plead, all you have is theirs.(10)

النموذج الثالث: ميمية ألبي "حبّ البلاد"

حبي لقومي يزيد الهمّ والألما لأنهم رفضوا أن يشبهوا الأمما

أعيش فيهم حياة لا أحبّذها ومن يحبّذ شعبا ضيّع الذمما

أخبارهم في ربوع الأرض شائعة أين الذي سمع الأخبار فابتسما

(نيجيريا) موطن الأمجاد قد نبعت منها عقول تبثّ العلم والقيما

من يستعيد لها لله صحوتها ومن يحاول أن يُحْيِي لها الهمما

أريدها درّة في الغرب نادرة يسير أبناؤها نحو العلى قُدُما(11)

وفي المقابل تأتي قصيدة (THE TOWN-CRIER) للشاعر النصراوي غمبا، ليحذو حذو نظيره، ويقول:

Harbinger of tales to make our hearts glow
Sitting in our stomach incontinent, making it growl
But whether our faces with smiles you light
And our day's mirth you mar with fright
To the sounds of your drum's solemn beat
Our hearts succumb like ice cubes to heat
And our cars thou commands to heed
Receptacles ever strong to receive
The news of what is amiss

The bridge across the river
Our only access to the floods
Drowned our rice farms
With your drums herald the news(12)

والنظرة العميقة في النماذج المعرضة لكلا الشاعرين فإن المتتبع لها يدرك أنهما لزما قضية الالتزام في الأدب، وإن كان كل واحد منهما تناول القضية على حدود فكرته و إيمانه، ولم يقتدي أحدهما الآخر، ولهذا تلقى عمل الشاعرين إعجابا عاليا لدى الدارسين، والأدباء، والذوقيين سواء في الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي، فلا حرج إذا قام الباحثان بالموازنة بينهما. ولا ندخل في صميم الموازنة بين هذين الشاعرين حتى نشير إلى بعض خصائصها ومقاييسها عند النقاد، ويتضح حدود ما موقف عليه في هذه القطعة الأدبية.

والموازنة لها خصائص ومعايير عبر العصور والأجيال، فكل جيل ينظر في هذه القضية على ما يصلح لعصره أن تقيم عليه عملية الموازنة بين أرحام الإنجازات الأدبية، وعلى مدى تتبع ميسر فإنه يبرز أن الموازنة في الجاهلية؛ إنما تبنى على المفاضلة؛ كما صنعت أم جندب امرأة امرئ القيس بين زوجه وعلقمة في وصف الفرس. وفي صدر الإسلام كان التنزيل حدّا فاصلا بينه وبين سائر كلام العرب، ولم يأت العصر بعده حتى شهد الأدب العربي منازعة أدبية ر اقية بين جرير، والفرزدق، والأخطل، وساعدت التطورات السياسية في تقدم هذا الفن، وجاء عصر العباس ببشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، والبحتري، والمتنبي، فصلح بهم الأدب والنقد أحسن صنع، فكانت الموازنة منطوية ليست بين هؤلاء الشعراء فحسب، بل ظل الخطباء والكتاب يرعونها في دراسة اللفظ والمعنى، وبين الفكرة والفكرة، والخيال والخيال، وفي كل ما هو صالح لهذا الفن.

ومن هنا بدأ المحققون من النقاد والأدباء يحددون المقايسس والمعايير لعملية الموازنة، وكان ابن سلام الجمحي في الطبقات وازن بين فحول الشعراء، وجعلهم طبقات بمعايير ذوقه الأدبي، وجاء ابن قتيبة فرسم الموازنة في اختياره لكل شاعر ما يراه جيدا، ورتّب الشعر في أربعة منازل، والشعراء في منزلتين مطبوعين ومتكلفين. ولم يتصدر إلى الموازنة بين شاعرين في النقد العربي قبل الآمدي، وقد صرح ذلك بتسمية كتابه: "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" فقام بالمقارنة بين الشاعرين، منطلقا في ذلك إلى الاختلافات الجوهرية بينهما، وما يمتاز به كل منهما في صفاته وخصائصه، ولعل الآمدي أول من وفى بعهده لهذا الفن حيث تمكن من تناول الموازنة تناولا منهجيا من ناحيتها المختلفتين: ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص.

ومن المعاصرين من ذهب إلى أن الموازنة فرع من النقد والوصف، كالعلامة زكي مبارك، فيراها: أن الموازن عليه أن يعرف حياة من يوازن بينهما، ويصل بين نفسه ونفسيهما لأن الأديب – كما يرى – يؤدي رسالة في خاص وبيئة خاصة، وأن يوسع أفق النقد وأن يكون واضحا ذا ذوق سديد، وعليه في الموازنة بين الشعراء أن يدرس نواحي اشتراكهم، و افتر اقهم، و ابتداعهم، وأخذهم إلى غير ذلك.(13)

وعلى أساس ما سبق من تتبع خصائص الموازنة عبر العصور، فإن موازنتنا لبعض أشعار ألبي وغمبا في الالتزام ستكون على منهج استنباط الخصائص، وليس المفاضلة، منكبا على عناصرها الفنية كما أوردها زكي مبارك من الاتفاق، والاختلاف، والإبداع، والأخذ. وتأتي الموازنة على نمط آت.

مدارك الاتفاق بين الشاعرين في الالتزام:

يلتقي الشاعران الكبيران في مواطن عدة، وكيف لا؟ وقد جمعتهم بيئة واحدة، ووحدت بينهم العقيدة، والفلسفة، والعادة، والهدف، ومن الملحوظ به أن الشاعرين يتفقان في الإيمان بأن حرية إنسانية لا تقصر الحاجة إلى الدفاع عنها، وأن الشعر آلة قوية لا تمل قدرتها في الدفاع عن الحرمة الإنسانية، إذ هما من حملة رأية السعادة، وإن كانت السعادة تتغير من إنسان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل آخر.

وقد رضي الشاعران بما رسمه الإسلام للسعادة، حيث لم يكتف بالسعادة الدنيوية كما توجد عند بقية المفكرين، بل يربط الإسلام بين السعادة الدنيوية بالأخروية، ويقرن متعة الروح بمتعة الجسد، لأن الإسلام أعطى البشرية ليحقق أقصى ما يستطيع من الوجهة المادية والصحية والغريزية ولم يشترط سوى نظافة الوسيلة وشرف الغاية.

ولذلك يوصف الأديب المسلم أديبا ملتزما بمنهج شامل في الحياة، يعبر عنه بالقول والعمل، ويتمثله في وحدته مع نفسه، وفي اندماجه مع أفراد مجتمعه. وأن العبد المسلم فرض عليه أن يرد يد الظالم والمظلوم في أي حال وجد نفسه فيها. ولما رأى ألبي وغمبا حالة بني جلدتهم في نيجيريا، مسلموهم وغير مسلميهم رفعا صوتهما دفاعا عن هذه الكابوسة الإنسانية المبكية. ولعلك أيها القارئ العزيز ستوافق مع الباحثين عندما تلقى الشاعرين يختار كل منهما عنوانا لوصف ضمائره ضدّ الظلم والفساد في بيئته، فتجدهما متوافقين في اختيارهما، فهذا ألبي يطلق على بعض قصائده "جروح بلادي" و"بلادنا والظلام" و"حب البلاد" وذاك غمبا يسمى ديوانا كاملا بعنوان: (This Land of Ours) وتلقى في هذا الديوان قصائد رائعة تتفق مع ألبي في أفكاره، وفلسفته، وإيمانه، وكأنهما تواصيا فيما بينهما في هذا العنصر الأدبي الرائع.

يقول ألبي في وصف حزنه على بلاده وما فشى فيها من الفساد:

جروح بلادي متى تندمل ** ونضج رجالي متى يكتمل

تمرّ علينا السنون بلا**جهود تعلّلنا بالأمل

تئنّ بلادي وصورتها** مشوّهة عند كل الدول(14)

وأما غمبا فيصف حزنه في قصيدته (A PEACE ZONE) :

There are no artilleries here
No armored vehicles, no war planes
Only a few dead bodies (15)

لا تتوقع أن الشاعرين اختلفا في وصفهما، بل إنه يقوي وصف أحدهما الآخر، فألبي يصوّر حالة نيجيريا تصويرا توضيحيا، وغمبا يصورها تصويرا تصريحيا. ولما كان فن الالتزام وخاصة في منظور إسلامي ليس محصورا في نظرية إقتصادية مغلقة، ولا في مدرسة فلسفية مقفلة، ولا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها، ولا بدولة ذات مذهب بعينه، و إنما يتسم بسمات إنسانية عالمية شاملة تتسع لبني البشر أجمعين، وتمجد الفضائل البشرية من حب، وأخوة، وتعاون، وشجاعة، وعدالة، ورحمة.

ولما فقدت نيجيريا بأجمعها جميع هذه الفضائل الإنسانية، حُق على من يملك آلة الدفاع أن يتصدر إلى الأمام بأي آلة تصلح للتغير الهادف، ولذلك لم تلقى إنتاجات ألبي وغمبا قبولا واسعا لدى المسلمين فحسب، بل ظل غير المسلمين يردّدون أشعارهما في كل حين وآخر، لأنها أشعار تملك رسالة إنسانية عالية.

فألبي يذفر الدموع على نيجيريا للحالتين الإقتصادية والدبلوماسية، وغمبا من جانب آخر يرفع صوته على حالة الأمن والاستقرار، وهذه الأحوال كلها متداخلة بعضها في بعض، حتى بدأ المفكرون والباحثون يرون الفقر وسيلة خطيرة إلى عدم الأمن والاستقرار في العالم.

فلا جناح على الشاعرين إذا رفع الأول صوته على الفقر والبؤس الذي قد شوه وجه البلاد في الخارج، ورفع الآخر صوته على الأمن والاستقرار، حتى كأنه يتعجب من مكر قومه وخدعهم، فيرى أن بلاده في الحرب الفكري وقومها يمكرون على أنفسهم أن البلاد في تمام سلمها، وأمنها.

وقد عاد غمبا في القصيدة نفسها يحذو حذو ألبي في وصف حالة البؤس والفقر في نيجيريا، ذلك بأنه يو افق ألبي في أن الفقر أمهل السبيل إلى جميع الهبوط العقلي والخلقي في البلاد، ويقول:

No prisoners war, no concentration camps
Only wailing widows
And crying orphaned children
For a dispute over water rights(16)

مدارك الاختلاف الشاعرين في الالتزام

وعلى مدى تتبع الشاعرين في انتاجتهما حول الالتزام فقد وقفنا على صور من العناصر الأدبية التي يتميز بها كل واحد منهما عن الآخر، ولعل مما يجدر الإحالة إليه هو مصدر ثقافة الشاعرين، والذي يختلف كل الإختلاف، فهذا قضى نحبه في اللغة العربية تعلّما، وتدريسا، وباحثا، ومحققا، وذاك تخصصه الإقتصاد وفيه قضى شطرا من حياته، وشطر آخر في السياسة، إلا أنه تذوّق بالأدب الإنجليزي فنال بغيته فيه.

ومن هنا يتجلى أن الشاعر ألبي إن كان أسطورة من أساطير العربية وآدابها في ديار نيجيريا، فإنه يعدّ نظيره أسطورة الاقتصاد والسياسة فيها، و آية في الأدب الإنجليزي بين الشعب. ولا تلزم ألبي الغربة في الإنجليزية، إذ أخذ نصيب الأسد فيها، وكما يتوقع أن يتخلق غمبا ببعض الآداب الإسلامية لكونه شماليا، وقد تخلّق أهلها بالقيم

الإسلامية عادة، وثقافة، وعقلا.

هذا، ومهما حاول الباحثان أن يربط بين الشاعرين في العادة، والعقيدة، والبيئة، فإن الو اقع الذي لا مفر منه، هو أن البيئة الإلورية التي قضى فيها ألبي جلّ حياته تختلف ببعض المز ايا من بيئتي نصراوا و أبوجا اللتين عاش فيهما نظيره، ولا بدّ أن يكون لهذا تأثر منطقي في عملهما، إذ الأديب ابن بيئته المباشرة. ولن تقابل نصراوى إلورن في الحضارة الإسلامية، لا في القديم ولا في الحديث، ومما يدل على قدم إلورن في الحضارة الإسلامية، ما ذهب إليه أغاكا حيث يقول:

وتمتاز مدينة إلورن منذ أقدم العصور باستعدادها الفطري لابتكار أنماط جديدة من الحياة الفكرية مستمدة قواها من المعطيات الإنسانية، فبرع في ظلها عباقرة الأدب العربي والحضارة الإسلامية، ما ألهمها ملاحقة مدن ظلت في حواضر علمية على الرغم من حداثة عمرها(17)

وثمة نقطة أخرى من وجه اختلاف الشاعرين أن حضارة ألبي الخارجية مكتسبة من أجلّ الدول العربية علما، وثقافة، وتجربة، كمصر، ولبيا، والمملكة العربية السعودية، ثم غانا، وأما نظيره فقد اعمتد على الغرب في تجربته وثقافته، كما أثبتت سيرته؛ فنراه آخذا من أمريكا حينا، ومن البريطانية حينا آخر.

ولا يهمنا في هذا الصدد المفاضلة و إنما محاولة تبيين وجوه الاختلاف بين الشاعرين، وكيف تأثر ذلك في قريضهما، وليدلنا على ذلك وصفهما لأحوال نيجيريا الطامية. فأما ألبي فيحزن على الكهرب أكثر لتعلق عمله به، ولم لا فهو محاضر في إحدى جامعتها، والمحاضر مرغي الدفاتر بكرة وأصيلا، مكتبا، أو مسكنا، فالبحث عندهم لا يتوقف، حيث وجدوا الفرصة حاولوا تسجيل خواطرهم، وما أدراك من كان شاعرا إضافة إلى كونه محاضرا كألبي، ولذلك يقول:

أين رئيس موفّق يقظ ينقذنا من بر ائن الجاني

وليلة ظلمة أكابدها أبيتها مثل قلب شيطان

سوادها مثل فحمة منعت لخوفها من خروج فيران

وأما غمبا فيصف لنا حالة الأمن وقطّاع الطرق، وهل من مصرف في نيجيريا ليس له تجربة اللصوص؟ وفي ذلك يقول غمبا لأنه رمز بل أسطورة في المصرفين:

On the high streets, right inside the towns
With gun-inspired bravado they alight like locusts
Unmasked men, even the moon and the sun to witness
And the police, ah! Whose police?
To the deposit boxes of merchants and traders
The vault of banks easy targets they know too well
Court martyrdom with an alarm

أرأيت كيف وقف ألبي في ظلمة ليل من ليال إلورن يتصور سواد الغسق لولا نعمة القمر والنجوم، لظل الأمر أسوأ، ولا تتمنى أن تصويره للخوف من الفيران خيالي محض، و إنما التصديق الذي بين يدي الو اقع، وأما غمبا من جانبه، فهو يخشى على نفسه من ظلمة الليل في طرقات نيجيريا، لأن قُطّاعها مختفون في خضراء خصلتها، وهذا الغول المفزع لم يشهده الشاعر مرة واحدة، بل ذاق مرارها أكثر من مرة، فغمبا موظف المصرف الذي وصل أعلى المرتبة فيه، فهو إذا خبير في هذا التصوير المخوف الخطير. فقد عرف كيف يقيم هؤلاء اللصوص مهامهم في الغابات، والطرقات، حتى وفي بطون المدينة، وبيوت الناس. فألبي خاف من الفيران في ظلمات الليل مع ضعفه وخذلانه من سائر الحيو انات، ذلك لأن إمارة إلورن معروفة بالأمن والاستقرار منذ القدم، فظل أبناؤها يخافون حتى من الفيران الضعيف، وأما غمبا فخاف على نفسه وبيئته من قطاع الطرق في ظلمات الليل، فكلاهما يلتقيان من خوفهما على ظلمة الليل من عدم الكهرب، لكنهما خاف من مخوفين مختلفين متضادين فليس الفيران كأُسُد الغابات.

مدارك الإبداع كل من الشاعرين في الإلتزام

لا شك أن الشاعرين مبدعين مبتكرين في فكرتهما معجبين في أسلوبهما، فالأديب ليس كغيره في التفكير والتخيّل، ولذلك لا يقلل من شأنهم في بلدة من البلدان، لأنهم رمز كبير في تمثيل حضارة قومهم، وتقدمهم، وحيويتهم، فلن يكون الشاعر موفيا إلا إذا طال نفسه في الإبداع والابتكار، والذي يهمنا في هذا الصدد قدرة إبداع الشاعرين النيجيرين ألبي وغمبا.

حقيقة إن إنتاج غمبا وألبي في شعر الالتزام دليل يقنع السامع بعبقريتهما في ذلك الصنيع الأدبي الر ائع، وأنهما ليسا مقليدين، اللهم لا، فقد استطاع كل واحد منهما أن ينظر نظرة بعيدة في دفاع عن حرية شعبه، جماعة و أفرادا، ذكرا، و أنثى، كبارا، وصغارا، ومما يدل على ذلك أن معظم أحداث نيجيريا المبكية المؤسفة خارج نطاق الفنون الشعرية المألوفة في الأدب، وخاصة في الأدب العربي، ولولا قوة إبداع الشاعرين لما استطاعا أن يأتيا بتصوير جيد عميق لتلك الأحداث والوقائع القاتلة، فنرى إبداعهم في أشعارهم للالتزام، ومن ثم فإن فن الالتزام يؤتي حرية واسعة للأديب أن يصور ما بدى له، وقد ساندت النقطة الشاعرين في عرض قضاياهما الالتزامية، فيظهر ذلك في اختيارهم للعناوين، والفكرة، والأسلوب.

ومن أروع ما أبدعه ألبي في شعر الالتزام في نيجيريا، ما ابتكره وصفا لعام 1944م في نيجيريا، حيث يقول:

يا عام إمض بآلام وأحزان	أنكى وأخبث من أنياب ثعبان
مُلئت جورا وحرمانا ومنقصة	وثقّلوك بأهوال وحدثان
مناكب الأرض ناءت وهي شاكية	لكنّها لم تفزيوما بآذان

وفتّ بالبغض ما أبقى الوئام فلا حلاوة الودّ ترجى عند إخوان
ساروا فضلوا كقطعان بلا هدف كأن أفواجهم في ركب شيطان
إن السياسة شطرنج تزاوله أيدي الرجال بناديهم بإتقان
ساد التقاطع بين الناس واأسفى على التقاطع إذ يودي بأوطان

تلك هي و اقعة من وقائع نيجيريا قبل الاستقلال بستّ السنين، و انظر كيف أحسن ألبي تسجيلها للأجيال القادمة في خلد التاريخ بأسلوب أدبي رائع، وعلى هذه النونية الألبية وغيرها من ابتكاراته الر ائعة التي يتذوق بها الذوقيون يقول عبد الباقي عند وصف ديو انه السباعيّات:

هذا الديوان عصارة فكر شاعر علمته الحوادث، وحنكته التجارب، واطلع على العلوم والمعارف، والحضارات المختلفة، والطبائع البشرية المتباينة، وصهرها في بوتقة شعر جميل ذي معان سامية، وأخيلة سامقة، وقواف مرقصة، إنه عمل حافل بحقائق الكون وأسراره، وأحداث الدهر وحوادثه، وبعلاقات الناس مع خالقهم، ثم بعضهم بعضا..(19)

ومن جانب غمبا الشاعر النصراوي فتجد شعره بعنوان (IN THE SHADOW) من أروع ابتكاراته الر ائعة الممتعة، حيث تمكن من ربط حالته النفسية الفردية مع الحوادث الكونية، وليس كل شاعر يستطيع ذلك، واستمع إليه يقول:

To the shrinking cry of my pen I did awake
Where is it? I know it was my pen's cry
Its offal a guiding light even the blind would take
And the stars perhaps in fright ran away
Outside their tears formed a big lake
No, it's their sweat as they race into the sky
The rumbling steps over the hills still reverberate
Where's my pen? It will soon be day
My neighbour faints easily and hard to resuscitate
The birds, insects, in confusion will fly
And I've no more taste for rumblings of boots at the gate
My legs cannot walk the ladder into the sky
Where's my pen? It's already day-break
And the sun shines with a bridegroom's grin
Casting shadows of the bayonet on the sought
And the warder by the jailhouse, so grim
In search of prey, in search of a key
In search of a pest, in search of a pet (20)

الخاتمة

لم تكن غاية الباحثين القصوى في هذه المقالة إعطاء المتذوقين فرصة أخرى إلى المتعة الفنية أو التذوق الأدبي المنتج ثنايا الموازنة الأدبية بين الأديبين النيجيريين، لا للمفاضلة حتى يقول أحدنا فلان أشعر من نظيره، ولا في استنباط الخصائص والمميزات، وإنما المرمى إليه محاولة توطيد الفكرة بين الأدبين العربية والإنجليزية، وخاصة في شعر الالتزام، لمكانة هذا النوع من الشعر في تأسيس الأمن والإسقرار في الأرض، فالشعر أو الأدب ليس مجرّد المتعة في لحظة الإلقاء، بل يظل مهامه رفع أمجاد الوطن، وتسجيلا للأحداث وتجليات الزمان. ولذلك لم يطل الباحثان في الكلام عن الخصائص، فاقتصرا في بيان كلمة الموازنة والإلتزام في التمهيد خوفا على التطويل، وكما اقتصرا في عرض نبذة حياة الشاعرين ألبي الإلوري وغمبا النصراوي، ثم أتيا بنماذج من شعرهما في الالتزام، وعقبا ذلك بدراسة الموازنة بين الشاعرين مراعيا في دراستهما منهج استنباط الخصائص والمميزات طبقا لما حددها النقاد في دراسة الموازنة الأدبية بين الشاعرين، فتتبعا مواضع اتفقهما، واختلافهما، و إبداعهما، وقد ترك الباحثان الكلام في أسلوبهما دلالة على أن الشاعرين لم يستعملا نفس اللغة في شعرهما، ومهما يكن الأمر، فقد ظهر فيما سبق أن ألبي وغمبا شاعران عملاقان يستحقان التمجيد والثناء في رفع فن الأدب في نيجيريا من ناحية وأدب الالتزام من ناحية أخرى، مع كثرة التحديات، ومع فقدان الأدوات اللازمة للابتكار لم يسكت الشاعران عن الحق، وفي الردّ عن الظلم والظالمين. وأخيرا لقد أثبتت هذه المقالة أن الأدب في نيجيريا عربيته و إنجليزيته يرمي إلى مهام نبيل يتطلب عناية الحكومة إليه، وخاصة في هذه الآونة التي تعاني البلاد برمتها من فقدان القيم الإنسانية الفاضلة، وليكون الأدب سلاح قوي من أسلحة غناء التغير (CHANGE) الذي تنشده الحكومة في أنحاء البلد.

ثبت الهوامش والمراجع:

1- انظر الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير، ب/ت و ب/ط فصل (وزن)

2- انظر إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ب/ت، دار الدعوة، فصل (ل ز م)

3- أغاكا، عبد الباقي شعيب، (الأستاذ الدكتور)، "تقديم ديوان الرياض"، ص:16 ط/1 مطبعة ألبي، ألوغن جمبا إلورن، نيجيريا، 2005م.

4- جمبا مشهود محمود، (الدكتور)، "الشاعر في السطور؛ ديوان الرياض، ط/1، مطبعة ألبي، 2005م

5- Life and Works of Abubakar Gimba, Google, 17/10/2015

6- ألبي عيسى أبوبكر، (الدكتور) "ديوان السباعيّات" ص:91 ط/1 مطبعة النهار للطبع، والنشر، والتوزيع، 2005م

7- Abubakar Gimba, 2001, *This Land of Ours,* Delta publishing, Nigeria, pg. 24

8- ألبي، المرجع السابق، ص: 120

9- Abubakar Gimba, ibid, pg 26

10- ألبي، المرجع السابق، ص: 154

11- Gimba, ibid, pg 18

12- زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء،

13- ألبي، المرجع السابق، والصفحة

14- Gimba, ibid, 24

15- Gimba, ibid, 24

16- أغاكا، المرجع السابق، ص 7

الرحّالة العرب وبداية العلاقة مع الهند

سكينة م ك

أستاذة مساعدة . كلّية م. إ.س . أسمابي .

كدنغلّور.ترشور. جامعة كاليكوت

Sakkeena MK.

Assistant Professor. Department of Arabic.
MES Asmabi College Kodungallur.

Abstract: **This paper explores the early historical relationship between the Arab world and India by examining the accounts of prominent Arab travelers and geographers who visited India, particularly its southern regions, during the early Islamic centuries. The study highlights the various motivations behind these journeys, such as curiosity, trade, and scientific or geographical documentation. It sheds light on the rich and diverse observations recorded by these travelers regarding India's geography, caste system, traditions, religions, natural resources, and cultural practices. Among the noted travelers discussed are Ibn Khordadbeh, Sulaiman the Merchant, Al-Mas'udi, Abu Zayd al-Sirafi, Al-Istakhri, Ibn Hawqal, Al-Muqaddasi, Al-Biruni, Ibn Battuta, and Abu al-Fida. Their documented experiences offer valuable insights that have greatly assisted historians in understanding the Indo-Arab connection. The study concludes that India's geographical advantages and abundant natural resources—especially spices like pepper and aromatic woods—were key factors attracting Arab travelers and scholars to these lands and inspiring detailed documentation of their findings.**

Keywords: **Arab travelers, India, Islamic geography, Indo-Arab relations, *Al-Masalik wal-Mamalik*, spices, Kerala, Sulaiman al-Tajir, Al-Biruni, Ibn Battuta, historical geography, Indian Ocean trade.**

الملخص : يتناول هذا البحث العلاقة التاريخية الأولى بين العرب والهند من خلال استعراض لرحلات كبار الرحّالة والجغرافيين العرب الذين زاروا الهند، خاصة المناطق الجنوبية منها، منذ العصور الإسلامية المبكرة. يكشف البحث عن دوافع هذه الرحلات، والتي تراوحت بين حب الاستطلاع والتجارة والتوثيق العلمي والجغرافي، ويُسلّط الضوء على ما قدّمه هؤلاء الرحالة من معلومات غنية عن جغرافية الهند، وتقاليدها، ونظامها

الطبقي، ودياناتها، ومحاصيلها، وعادات أهلها. من بين هؤلاء الرحالة: ابن خرداذبه، وسليمان التاجر، والمسعودي، و أبو زيد السيرافي، والإصطخري، و ابن حوقل، والبشاري المقدسي، والبيروني، و ابن بطوطة، و أبو الفداء، وغيرهم ممن تركوا آثارًا معرفية قيّمة ساعدت المؤرخين في رسم صورة دقيقة للعلاقات الثنائية بين الهند والعالم العربي. يؤكد البحث أن الجاذبية الجغرافية والموارد الطبيعية الوفيرة في الهند، وخاصة الفلفل والتوابل والخشب، كانت من أهم العوامل التي شجعت الرحّالة العرب على زيارتها وتوثيقها.

الكلمات المفتاحية :الرحّالة العرب، الهند، الجغرافيا الإسلامية، العلاقات الهندية العربية، المسالك والممالك، الفلفل والتوابل، كيرالا، سليمان التاجر، البيروني، ابن بطوطة، الجغرافيا التاريخية، تجارة العرب في المحيط الهندي.

الرحّالة العرب المشهورون وبداية العلاقة الثّنائيّة مع الهند:

حبّ الإستطلاع هو من أهمّ الدوافع وراء الأسفار والرحلات التي يقوم بها الإنسان منذ الأزمان القديمة . ولولا هذا لكان يستقرّ ويعيش ويموت حيث ما ولد. ومن العناصر المختلفة التي لها تأثير كبير في اثارة حبّ الإستطلاع لدى الإنسان الأحوال الإقتصادية والجغرافية والثقافيّة والدينية والسياسية وغيرها . نعرف أنّ الأراضي الهنديّة وعلى الأخص المناطق الجنوبية منها منعّمة بعدد لا يحصى من الموارد الطبيعية التي لا يستطيع أن يستغني عنها سكّان البلدان الأجنبية . على سبيل المثال ،نرى الفلفل وبعض التوابل الأخرى التي تنتج بكلّ وفرة في كيرلا يحتاج اليها الأوروبيّون والعرب أكثر من الآخرين بل أكثر من الذين يُنتجونها .كذلك هو شأن بقية المواد الأخرى مثل خشب الساج الذي تصنع منه أفخر المفروشات ودهون بعض الأشجار الجبليّة والأعشاب التي يتعطرون ويتداوون بها وبعض المواد المعدنيّة التي لا ترى الاّ في أراضيها الخصبة . هذا كلّها بالإضافة الى مزاياها الجغرافية التي تقلّل المسافة وتسهّل السفر بينها وبين الدّول الأجنبية . وقد ساهمت هذه العناصر المختلفة مساهمة كبرى في كثرة وصول الجغرافيين والرحّالة من الدّول الأجنبية القريبة منها والبعيدة الى الأراضي الهنديّة . تُعتبر خبراتهم المدوّنة في شكل الذكريات خير عون للمؤرّخين الذين يتوافدون عليها لإستخلاص ما فيها من

الحقائق التاريخيّة الكامنة .

لقد شهدت سواحل كيرلا مع بقيّة أجزاء الهند لتدفّق هائل من قبل المسافرين الذين اتّجهوا اليها وفي داخلهم الكثير من الأمنيّات الكبيرة والأحلام العذبة . وكان فيهم الرّحالة الذين خرجوا ديارهم للنّشاطات الإستطلاعيّة والتجار الذين غادروها للأغراض التجارية والجغر افيون الذين جابوا الآفاق لاقتناء القدر الممكن من المعلومات حول الكرة الأرضيّة وأسرار البلدان المختلفة فيها . ومن هؤلاء الرحّالة المشهورين :

إبن خرداذبه (250هـ)

كان عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبه مؤرّخا فارسي الأصل ومؤلف أوّل كتاب بالعربيّة في ذكر أحوال الهند الجغر افية باسم "المسالك والممالك" ،شغل منصب صاحب البريد والخبر أيّام الخليفة المعتمد العبّاسى فى القرن التاسع الميلادى . وقد روي الأخبار عن الفرس و أنسابها والملاهي والموسيقي والشراب وصناعة الأطعمة .[1] ألّف كتابا فى الجغر افيّة موضحا البلدان والأقاليم ومسالك الذهاب والإياب إليها .وكذلك طرق التجارة البرية والبحرية الهندية . وقد ذكر في هذا الكتاب الطبقات المختلفة الموجودة فيها ، ولو لم يسافر إلى الهند ، استند فى معلوماته على جغر افية بطليموس (Ptolomy) . أضاف بهذه المعلومات ما جمعها الإخباريون . جعلته طبيعة عمله على علاقة دائمة بالتجارة ، والمسافرين إلى هذه البلاد.

ويذكر ابن خرداذبه طبقات الهند السبعة في كتابه "المسالك والممالك"ويقول : في الهند سبعة أجناس ، وهم الأشراف الذين فيهم الملك ، تسجد الأجناس كلّها لهم ، ولا يسجدون لأحد ، والبراهمة الذين لا يشربون الخمر والأنبذة ، والكشترية الذين يشربون ثلاثة أقداح فقط لا تزوّجهم البراهمة ، ويتزوّجون فيهم ، والشودرية الذين يختصون بالزراعة . والبيشة الذين يختصون بصناعات ومهن مختلفة، والسندالية (جندال) أصحاب اللهو واللحون ، وفى نسائهم جمال ، والذننبية (دوم) أصحاب لهو ومعازف ولعب .[2]

[1] الأب فردنان توتال : منجد الأعلام –

[2] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ 2008-صفحة 44

سليمان التاجر: (237هـ)

هو أوّل رحالة عربي وصلتنا رحلته ، التي طبعت في بارس عام 1811م . باسم "سلسلة التواريخ " . فقد كان تاجرا ، سافر من ميناء العراق ، يجوب البلاد ، حتى وصل في الصين . وقد طوف كل موانئ الهند . فكتب رحلته ، وأحواله المختصرة، عام 237هـ. ويعد المرجع الأوّل الذي ذكر بحر الهند "هركند" ومن ثم ، حفظه العرب بهذا لإسم وهركند هذا يطلق على الجزء الذي يجري من حدود جنوب الهند . ويكتب عن بعض شواطئ جنوب الهند .وقد ذكر لنا سليمان التاجر أسماء أربعة ملوك لسواحل الهند ، أوّلهم ،الملك بلهرا ، ملك الملوك ، وقد نظم جيشه طبقا للنظام العربي ،وسك النقود ، مكتوبا عليها بداية جلوسه على العرش . ويقول سليمان التاجر عن عادات أهل الهند هكذا : وإذا مات الملك ،ببلاد "سرنديبب" ... يهيّأ له الصندل ، والكافور، والزعفران ، فيحرق به ، ثم يرمى رماده في الريح . والهند كلهم يحرقون موتاهم بالنّار ....وربّما أحرق الملك ، فتدخل نسائه النّار ، فيحترقن معه ، إن شئن لم يفعلن ...وعن عادات الزواج وأهل الهند إذا أرادوا التزويج ، تهنّؤوا بينهم ، ثم تهادوا ، ثم يشهرون التزويج بالصنوج والطبول ، وهدينهم من المال على قدر الإمكان .

ومما يثير العجب عند العربي أن هذا البلد فيها تمر ، وهو أمر تعجب منه الرحالة العرب ."وللهند نحل .... ولهم ساير الشجر ، وثمر ليس عندنا ، وسائر الفواكه عندهم كثيرة .

وتعدد الزوجات عندهم (أهل الصين والهند) مباح . "وليس الصين ولاالهند بأصحاب الفرش. وبتزوّج الرجل من... الهند ما شاء من النساء وطعام الهند الأرز".

وقد أخذ الصينيون عقيدتهم من الهند . وليس لأهل الصين علم ، وإنّما أصل ديانتهم من الهند . وهم يزعمون أن الهند وضعوا لهم البدده ، وأنهم هم أهل الدين ".

المسعودي(303هـ)

كان أبو الحسن علي المسعودي من مؤرّخي العرب الكبار ورحّالتهم البارزين والجغرافيهم المشهورين . ولد في بغداد من عائلة تنتسب الى الصحابي الجليل عبد الله بن المسعود. قضى نحو خمسة وعشرين سنة في الرحلات

والأسفار . زار خلال هذه الفترة الطويلة معظم البلدان في قارة آسيا وشمال الإفريقية مثل الشام وفلسطين ومصر وبارس والهند والسيلان ومدغشقر وآذربيجان وما وراء النهر حتى الصين .أقام في أنطاكية ودمشق والفسطاط وتوفي في مصر سنة 956م . وقد ألّف كتبا عديدة في هذا الخصوص ولكن لم يبق منها الاّ كتابين هما "التنبيه والإشراف "ومروج الذهب ومعادن الجواهر" الذي تحتوي مقدّمته على مجمل تاريخ الأمم كلّها منذ بدء الخليقة . ولاسيّما الأمّة الهندية . وقد عابه النقاد على بعض ما جاء في هذا الكتاب من الإستطرادات والمعلومات غير الصحيحة.[1]

أبو زيد السيرافى (264هـ)

نشأ أبو زيد فى مدينة سيراف ، على الخليج الفارسي. كان من التجار العرب البارزين .كان يسافر ما بين السيراف والهند والصّين بحريّا للأغراض التجاريّة . وقد قام بتدوين جميع العادات والتقاليد الغريبة التي كان يتمسّك بها سكّان هذه البلدان البعيدة.كانت معظم هذه الأخبار معجبة بالنسبة للعرب الّذين يعيشون في ظروف متغايرة . خلال رحلاته المتتابعة مرّة التقى به الرّحّالة الشهير المسعودي . كانت معظم رحلاته بناءا على المعلومات التي تلقّاها عند قراءة كتاب الرحّالة الشهير سليمان التاجر. وقد أمكن من خلال فترة رحلاته المستمرّة أن يضيف بذلك الكتاب معلومات جديدة حول تلك البلدان وما فيها من التقاليد و العادات الغريبة .[2]

الإصطخرى (340هـ)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الملقب بالإصطخري . كان رحالة ومن علماء الجغرافية المشهورين عند العرب . زار أكثير البلدان في قارة آسيا. استعان بكتاب "صور الأقاليم "لأبي زيد البلخي وألّف كتابا له بنفس الإسم[3] وكتابا آخر باسم "المسالك والممالك" الذي ذكر فيه أخبار عن بلاد الهند والسند ، وكابل ، وبلاد ما وراء النهر.وبالإضافة إلى بلاد العرب والفرس وقد وردت في هذا الكتاب أخبار عن بحر الهند .

---

[1] الأب فردنان توتل: منجد الأعلام ––صفحة 661

[2] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ 2008-صفحة -49

[3] الأب فردنان توتل – صفحة 50 منجد الأعلام -

إبن حوقل (331هـ)

كان تاجرا من تجار بغداد. غادرها عام 331 هـ الى البلدان الأجنبية. وسافر إلى أوربا و أفريقا وآسيا، وطاف أسبانيا وصقليّة، حتى وصل إلى الهند وصوّر أقاليمها في خرائط توضيحية تعدّ أوّل خريطة جغرافية عن اقليم من اقاليم الهند. طاف أنحاء الهند وذكر مزايا أقاليمها في كتابه المسالك والممالك. يعتبر أول جغرافى عربى يخبرنا فى كتابه عن طول الهند وعرضها.[1]

البشار المقدسى (375 هـ)

هو شمس الدين محمد بن أحمد البشارى ،الملقب بالمقدّسي من مواليد بيت المقدس فى الشام .كان من الجغرافيين العربيين المشهورين. تجوّل نحو عشرين سنة في معظم البلدان الإسلامية. ولو وصل في الهند لم يتجاوز حدود اقليم السند . وقد جمع المعلومات التي تلقّاها خلال أسفاره الطويلة وألّف كتابا باسم "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" .يمتاز هذا الكتاب بما فيها من خرائط البلدان المختلفة التي زارها . ما الذي يهمّنا في هذا الكتاب بابه الأخير الذي يتحدث فيه عن السند وأخبارها .

البيرونى (400هـ)

هو أبو الريحان البيروني الذي ولد بضاحية خوارزم . كان مؤلّفا عربيا كبيرا درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهنديّة . وكانت بينه وبين ابن سينا علاقة وطيدة .[2]وقد قدم الهند قبل ما يبدأ محمود الغزنوي حملاته الهندية ، من مؤلّفاته الشهيرة " الآثار الباقية من القرون الخالية"و "القانون المسعودي" الذي ذكر فيه كثيرا من المدن الهندية محددا فيها طول كلّ بلد من بلادها وعرضها . أما كتاب" تاريخ الهند " ففيه تفصيل كامل عن جغرافية الهند. ترجم هذا الكتاب الى اللغات الإنجليزية والهندية .

ابن بطوطة

---

[1]

[1] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ 2008-صفحة -54ح

[2] منجد الأعلام - الأب فردنان توتل – صفحة154

هو محمّد بن عبد الله ابن بطوطة من مواليد طنجة في المغرب . كان من أشهر رحّالة العرب . طاف في أكثر أنحاء العالم المعروف وقتذاك. استغرقت رحلاته زهاء تسعة وعشرين سنة زار خلالها مصر والشام وفلسطين والحجاز والعراق وبلاد العجم وجنوبي بلاد العرب و افريقيّا الشرقيّة وبلاد آسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد خوارزم وما وراء فولغا وبخارا و أفغانستان والهند والصين وبنغال . ثم رجع الى بلاد العرب عن طريق جزيرة سوماترا وعاد الى المغرب ثم الى غرناطة . كان معروفا بملاحظته الدقيقة وأسلوبه الفكه ووصفه الأمين . ومن أشهر مؤلّفاته كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروفة برحلة ابن بطوطة. تُرجم هذا الكتاب الذي فيه جزء خاص بأحوال جنوب الهند الى اللّغات العالمية الكبرى مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

أبو الفدا إسماعيل بن علي (1273 – 1331م)

هو الملك المؤيّد اسماعيل الملقّب بأبي الفدا. كان أميرا عربيّا من حماة .ولد في دمشق . اشتهر مؤرّخا وجغرافيا. ألّف كتاب "المختصر في أخبار البشر" في التاريخ وكتاب "تقويم البلدان" في الجغرافيّة . وقد وردت في هذا الكتاب أخبار عن المحصولات الزراعية المتوفّرة في كيرلا ولاسيما الفلفل وكذلك عن المسلمين الذين يقطنون في كولّم وسواحلها.[1]

وبالإضافة الى المذكورين من المؤرّخين الكبار والرحّالة البارزين وصل في الهند عدد غير قليل من الرحّالة والجغرافيين الذين ألّفوا كتبا عديدة واصفين مزاياها الجغرافية والتطوّرات المختلفة التي تعرّضت لها. وكان من أشهرهم الجغرافي من ديار الشام زكريا الخنسوي الذي وصف كثيرا عن كيرلا ولاسيما مدينة كولم في كتابه "كتاب ترحيل البلاد".والجغرافي الشامي عبد الله الوصّاف الذي يقدّم صورة جميلة للشواطئ الطويلة الممتدّة من كولم الى نلّور ولمزايا جنوب الهند ومواردها الطبيعية المتنوّعة في كتابه بعنوان " تزجية العصر وتجربة العصر " ، والرحّالة العراقي الكبير أبو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي الذي دخل الهند عن طريق البرّ ووصل في سواحل

[1]- كيرلا مسلنكض آورباوم آدياكال جرترووم- صفحة 61- ج ب ب موري

الهند الجنوبية مرورا بالصّين والتركستان وكابل والتبت وكشمير وملتان والسند والبحّار الفارسي بزرك بن شهريار الذي وصل مباشرا في سواحل الهند ثمّ سافر الى الصين واليابان ودوّن مشاهداته باللّغة العربيّة بعد الرجوع الى الوطن .[1]

ومن المفهوم من كثرة الرحّالة والجغرافيين الذين يتسابقون للوصول في الأراضي الهندية ولاسيّما في الأنحاء الجنوبية منها ووفرة الكتب المؤلّفة من قبلهم فيها ، أنّ الأراضي الهنديّة كانت مقصد الرحالة والجغرافيين الكبار من شتّى أنحاء العالم ومحطّهم الأخير منذ الأزمان القديمة . أمّا التي استرعت أنظارهم وجذبت قلوبهم الى هذه الديار فما كانت الاّ تلك المزايا الجغرافية التي تتمتّع بها والمواقع الإستيراتيجية التي تقع فيها والمحصولات الزراعية التي تنتج فيها بكثرة. جعلتها هذه العناصر الثلاثة موضع اهتمام الدّول الأجنبية ولاسيّما الدّول العربيّة والأوروبية منذ قديم الزمان. ولولا هذه الأسفار المستمرّة والرحلات المتواصلة لكانت أخبارهذه الديارمدفونة تحت طيّ الكتمان .

المصادروالمراجع

1)سيّد سليمان ندوي – العلاقات العربيّة الهنديّة –الناشر- شارع الجبلاية بالأبرا –الجزيرة –القاهرة- طبعة سنة2008

2) ياقوت الحموي –معجم البلدان –ادارصادر–بيروت 1977

3) محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة- الناشردارالقلم –دمشق- 1986

4) د ويران محي الدين الفاروقي –الشعرالعربي في كيرلا مبدؤه وتطوره- الناشر–عرب نتّ-كالكوت –التاريخ 2003

5) زين الدين المخدوم الكبير– تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان – مكتبة الهدى –كاليكوت 1996

6) مسعود الندوي – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند –الناشرالدارالعربية -1987

7) العلاقات بين العرب والهند – مجلّة البشرى ولانجيري – أبو حسينة ،اتّحاد معلمي العربية –كيرلا

8) حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار– تحقيق وتعليق –الناشــر-مكتبة الهدى - 1996

[1] المرجع السابق- صفحة-64

9) د. ويران محي الدين الفاروقي – الشعر العربي في كيرلا مبدأ وتطوّره – كاليكوت -2003

10) عبد الغفورعبدالله القاسمي –المسلمون في كيرالا- مالابرم – 2000م

(11) William Logan –Malabar Manual – Vol-1-Chaithram Publication –Trivandram -1981

12) Kalid Ahmad Nizami –On history and historians of Medival India –Munshiram Manoharlal publication pvt Ltd -1983

13) KV.Krishna Ayyar The Zamorins of Calicut, Krishna chaithanya, Calicut -1938

القضية الفلسطينية في أشعار فدوى

جيسينا تي.بي
أستاذة مساعدة بكلية سري نارايانا جورو
تشيلانور، جامعة كاليكوت بالهند

Abstract :**This study explores the Palestinian cause through the poetry of Fadwa Tuqan, one of Palestine's most distinguished poets whose works deeply reflect the struggles, resistance, and aspirations of her people. The research analyzes her poetry within the frameworks of national, pan-Arab, and humanistic dimensions, focusing on how she voiced the suffering of the Palestinians under occupation. It also examines the stylistic and thematic features of resistance poetry in her works, characterized by simplicity of language, vivid imagery, and a strong commitment to truth. The study highlights Fadwa Tuqan as a powerful poetic voice and a committed fighter who faced oppression through words, remaining a true representative of her nation's conscience and resistance.**

Key Words: Fadwa Tuqan, Palestinian cause, resistance poetry, nationalism, pan-Arabism, humanism, occupation, struggle, homeland, freedom.

الملخص : يتناول هذا البحث موضوع القضية الفلسطينية في شعر فدوى طوقان، إحدى أبرز شاعرات فلسطين اللواتي عبّرن بصدق وإخلاص عن هموم الوطن وقضايا النضال والمقاومة. يركز البحث على تحليل أشعارها التي تجسّد معاناة الفلسطينيين تحت الاحتلال، وتعبر عن الاتجاهات الوطنية، والقومية، والإنسانية في شعرها. كما يكشف عن خصائص شعر المقاومة في أسلوب فدوى طوقان، من حيث اللغة السهلة والصور الواضحة والتزامها بنقل الحقيقة بعيدًا عن الزخرفة البلاغية. تبرز الدراسة مكانة فدوى بوصفها صوتاً شعرياً حرًا ومخلصاً، ونموذجًا لشاعرة مجاهدة واجهت القمع والظلم بالكلمة، وظلّت تمثل ضمير الأمة في معركتها نحو الحرية والكرامة.

الكلمات المفتاحية:فدوى طوقان، القضية الفلسطينية، شعر المقاومة، الاتجاه الوطني، الاتجاه

القومي، الاتجاه الإنساني، الاحتلال، النضال، الوطن، الحرية.

شعر المقاومة

شعر المقاومة هو نوع من الشعر الملتزم البليغ الذي لا يكون هو في خدمة مصالح أو أعمال نظام حاكم ظالم ومستبد ومتطلباته، وهو ما يبين الشاعر بلسان واضح طليق دون الالتفات إلى الإبداع والتصنع في مجال التخيل وإظهار العواطف النبيلة، فمن ميزاته أنه لا تكلف فيه ولا تعقيد، بل يصرح بالوقائع الحقيقية، وينبه مخاطبيه السامعين إلا إذا لم يكن يسيطر عليه الكبت السياسي والعنف، فحينئذ يستعمل الشاعر في إظهار أغراضه الصور الرمزية وغيرها.

ففى هذا البيان أن شعر المقاومة هو نوع من الشعر الملتزم، وعلى هذا يجب لكل واحد من دارسي اللغة والأدب أن يكون لديهم هادف تعليمي. وأن يبلغ رسالة الشاعر الذي يوضح آراءه مهمته فيه هو شعر يعلم فيها مخاطبيه السامعين كيفية المواجهة والنضال والثبوت أمام النظر المستبدة، وأصول المقاومة.

إن الكاتبة الفلسطينية فدوى هي في موطنها الفلسطيني كانت تعاني من الاحتلال الصهيوني أكثر. والأنظمة العربية معظمها كانت تمارس القمع آن ذاك ضد الكلمة الحرة الشريفة المطلقة وضد محترفيها، فإذا استطاعت الأمة العربية أن تحرروتزكي نفسها من أنظمة حكامها الظالمة المستبدة، يكون عليهم أسهل وعلى الشعب العربي تحرير فلسطين.

والقضية الفلسطينية كما نعرف من صفحات التاريخ هي قضية شعب يجاهد ويناضل في سبيل تحرير أرضه ووطنه، ومحاولة لإعادة الحرية المعشوقة إلى وطنه وأرضه، وطرد الغاصبين الظالمين من بيته، ويمكننا أن نقول في الجملة "إن الفلسطيني لايحارب في الو اقع من أجل تحرير فلسطين فحسب، بل إنه يحارب من أجل القيم الإنسانية أيضا".

والهدف من هذا البحث أيضا هو أن ننتخب موضوعاً متجانسا متصلاً كل الاتصال بو اقع الحياة

السياسية الحالية للعالم الإسلامي في عصرنا هذا، أوفي زماننا هذا وفي يومنا هذا، وبما أن قضية فلسطين المحتلة المظلمة تعتبر من المسائل العريضة الهامة التي يعيشها العالم العربي الإسلامي اليوم، لذا تم اختيار شاعرة عايشت وعاشت وعاينت وشاهدت لجميع ما حدثت مع القضية الفلسطينية، إذ تعتبر فدوى طوقان شاعرة فلسطينية محرومة التي فقدت وطنها وأرضها وكابدت وجاهدت عنفا من أجلها فإنها جديرة بأن تعد شاعرة المقاومة.

ما هي المقاومة؟

المقاومة هو الدفع والدفاع أمام التشرد ضد الإحتلال والإستبداد لأجل البقاء في أرض فلسطين، المقاومة هي أمام الم نع والقسوة وإزالة الهوية الشخصية والثقافية والوطنية نحو طرد الشعب الفلسطيني المسلم في المجتمع الدولي. أما كلمة المقاومة تبين نوعاً جديدا من رد الفعل الحقيقي تجاه الو اقع السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي المهاجم.

<u>نشأة شعر المقاومة وطوره</u>

المقاومة هي كصدى هذه الكلمة الثبات والدفاع عن النفس والحياة، ويمكن القول بأن جميع الشعر الذي يحتوي ويشمل على هذه الأفكار النبيلة فهو شعر المقاومة. وشعراء المقاومة هم الذين يتكلمون ويكتبون ويفكرون دائما عن حقوق الشعب الضائعة المستبدة، وتحريض المظلومين والمحرومين على استرجاع وتحصيل حقوقهم من الظالمين المحتلين، وتنبيه المستضعفين البائسين المساكين على عدم التسليم للمستكبرين الجبارين.

لم يكن في التاريخ لهولاء الشعراء اسم خاص بهم حتى عام 1948م، عندما حدثت الحادثة الكارثة العنيفة حادثة فلسطين، وأعلنت الدولة الصهيونية الخادعة وجودها، فبدأ شعر المقاومة في هذه الصورة، وتسلح هؤلاء الشعراء بسلاح الشعر، وكانوا دائما يتكلمون وينشدون عن كلمات هنيئة مأخوذه

من ضمير الأمة المؤلمة، والمشاكل والقضيات التي كانت تمر بالبلاد العربية من الشرق إلى الغرب بصورة عامة، وأرض فلسطين بصورة خاصة.

ولما سقط البلد في أيدى الصهاينة الماكرة، هاجر المواطنون عددهم قرب المليون فلسطيني من بلادهم المقدس، من بينهم الشعراء والكتاب والموظفون وغيرهم الذين أبعدوا من أرض الموطن. يتحدث غسان كنفاني الكاتب حول هذا الموضوع حيث يقول: "حين سقطت فلسطين في يد العدو ولم يكن قد تبقى تقريباً في فلسطين المحتلة أي محور ثقافي عربي، يمكن أن يشكل نواة لنوع جديد من البعث الأدبي، وكان جيل كامل من المثقفين قد غدر فلسطين إلى المنفى."[1].

يمكننا في هذه الآونة أن نأتي بثلاثة شعراء المشهورين الذين كانوا يقودون ويشجعون الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، أولئك هم الثلاثة في الو اقع من أقدم مؤسسى هذا الفن - شعر المقاومة، وكانوا يتكلمون في أشعارهم عن الجهاد والدفاع والنضال والمبارزة، وكانوا ينهون المخاطبين من الناس عن هجرة اليهود الظالمة وبيع الأرض لليهود.

كما يقول د. صالح أبو اصيع: "شهد جيل الشعراء قبل عام 1958م ضرورة الصراع مع المهاجرين اليهود وحكومة الانتداب وبرز في تلك المرحلة، ثلاثة شعراء هم إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود و أبو سلمى، مما كان المعلوم كان حب الأرض سبب شعر المقاومة، لأن الشعراء أرادوا أن يدافعوا عن أرضهم وحقهم الضائع و"بدأ الشعر يذكر مصائبهم، وأطلق على الأشعار في ذلك الزمن اسم المقاومة."[2]

عرفهم العالم فيما بعد بلقب "شعراء المقاومة"، وكلما ازداد عدد الشعراء والأشعار في فلسطين، ازداد أيضا انتباه الناس الفلسطينيين لموضوع الاحتلال. وقتما تعاظم ضد المقاومة الفلسطينية،

---

[1] كنفاني 1982م، ص - 19

[2] من المصدر نفسه، ص - 47

وتداعت الجميع إلى المسامع، أنباء وأخبار بطولات الفدائيين الذين ضحوا حياتهم في سبيل النضال، كان من الطبيعي أيضا أن تتجه الجماهير الفلسطينيين العربية بأفئدتها وقلوبها. وعواطفها، و انفعالاتها، ودمائها نحو المقاومة.

ميزات شعر المقاومة

إن الشعر فيضان من عواطف، ومظهر من مظاهر الكائن الإنساني الحي، فلابد في شأن الشعر أن يتطور الحياة، ويتقدم شأنه بتقدم الزمن الذي نعيش فيه، والشعر الأصيل والأدب برمته مولود عصره، يعبر دائماً عن أحداث البلاد وأحوال المجتمع والأمة، وعلى الشاعر أن يفكر ويتحدث عن آلام أمته. والأدب الفلسطيني أيضا كغيره من الآداب العالمية، أخذ و اقعاً حقيقا خاصا لما له من صلة وثيقة بالشعب الفلسطيني، سواء أكان ذلك ما كتب داخل الأرض المحتلة أم خارجها، تكون هذه ما تصور حياة الناس وأحوالهم ومصائبهم.

وحينما يعبر الشعراء خارج فلسطين عن الغربة واليأس وغيرها من الإنفعالات، كان الوضع مختلفاً تماما في فلسطين المحتلة، كان الشعراء هناك يواجهون عدوا عنيفا خارجياً ومعتدياً غربياً، يتحدون ظلمه ويدافعون بشعر حر تدور محوره على أفكار رئيسية حول الشجاعة والاستبطال.[1]

بعد أن انطلقت وسارت المقاومة في مسيرها، بدأت نبرة الشعر تتغير، وأصبح يعبر دائما عن الحماسة، وصار أخيرا صرخة للغضب، والمقاومة موجودة في كل مكان.

حينما نبحث عن شعر المقاومة في فلسطين نرى أن أكثر أشعار المقاومة الفلسطينية مشتركة ومنخرطة في ميزة واحدة، وهي ميزة السهولة في التعبير والكلام والوضوح في تعبير الصور، يتحدث خالد على مصطفى هو يقول عن ميزات شعر المقاومة عامة، حيث يقول: "كان الشعر الفلسطيني واضع

---

[1] كامبل اليسوعي، 1922م، ص - 142

القصيد، واضح العبارة، لا يموه ولا يعاضل مهما كانت الوجهة التعبيرية، إذ يكاد هذا الشعر يخلو خلوا تاماً من التأملات الذهنية والغموض النفس المحير، وشطحات الخيال العديدة، والتساؤل المحض في معنى الحياة والموت، كما يخلو من غرابة التركيب اللغوى، أو التعقيد في بناء القصيدة."[1].

كما ذكرنا سابقا إن شعر المقاومة في وجه عام له خصوصية تذكر، لأنه يختلف من بقية الأشعار كلها لحد ما، ويمكن هذا الاختلاف يبدو في مضمونه الذي يدور عليه الشعر، وقامت عليه حركة الشعر العاطفي في الأرض المحتلة.

هناك نرى ثلاثة محاور رئيسة التي انتظم بها هذا المضمون المجمل على حد قول خالد على مصطفى. حيث يقول: "وهي المحور الوطني الذي يكشف عن التشبث بالأرض، وهو المحور القومي الذي يعبر عن الانتماء إلى الأمة العربية، والمحور الإنساني الذي يجعل من حركة الكفاح الذي يخوضه الشعب جزءاً من حركة تحرر عالمية." [2]

الاتجاه الوطني

الشعراء هم يعبرون في أشعارهم عن الاتجاه الوطني وعن هويتهم الفلسطينية، ونراهم يعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم نحو وطنهم. وهذا الموقف لن يفصل عن الموقف القومي العادي، والإنساني العامي مطلقا أبداً، ويحتوى عليهما أيضاً: "وذلك أن التشبث بالأرض هو كحفاظ على وجود إنساني يظل مرتبطاً مهما تعددت صور النظر إليه، بوجود قومي، هو المعنى الذي يشير إليه التشبث بالأرض، وهذا الإفضاء مما هو وطنى إلى ما هو قومي أعطى الشاعر الفلسطيني هوية واضحة في تناول الهموم الأساسية

---

[1] علي مصطفى 1982م، ص - 42

[2] المصدر نفسه، ص - 247

بصفتها مصيره الذي يواجهه في حياته تحت الاحتلال، وسلامه الذي يدافع به عن هذا المصير."[1]

وعلينا قبل أن نأتى بنماذج كثيرة حول الاتجاه الوطني، لابد لنا من توضيح ما هو مفهوم الوطن عند العرب بإيجاز؟ كما جاء مفهومه في المعاجم العربية: "الوطن هو في الحقيقة منزل إقامة الإنسان ومقره، سواء كان أنه ولد به أولم يولد." ونرى في الحديث: "حب الوطن من الإيمان."

ولفظة الوطن ندركه في العصر الحديث ذات مدلول ومعنى أوسع وأكثر شمولاً من مفهومها في العصر القديم، فالوطن أيا كان، في نظر القدماء هو لا يتعدى الحي الذي يسكن فيه أو أرض العشيرة وموطن القبيلة، لكن مفهومه نرى في عصرنا الراهن، أصبح أكثر اتساعاً وشمولا، بحيث تشمل الوطن والأرض بأكملها التي يسكنها جميع أصحاب الأصل الواحد، لأنه يدل على مجموعة جمة غفيرة من المفاهيم المترابطة المتراكمة، المتعلقة بالشعب والأمة، والسيادة، والنظام، وغيرها..."

أما اشاعرة فدوى هي تطرقت، إلى القضية الفلسطينية في أبعادها الواسعة المختلفة من بيع الأراضي الفلسطينية إلى سماسرة اليهود، وإلى تغافل العرب عامة في فلسطين عن الخطر الخفي المحدق بهم، وانصرافهم إلى أعمالهم الشاحنات الداخلية فيما يبدو بينهم، وانغماسهم جميعا في أنواع اللهو والفساد، وإنفاقهم جميع أثمان الأراضي كلها على نساء اليهود، وإلى القوى السياسية البريطانية وتحيزها إزاء الصهانية واضطهادهم للعرب والمسلمين، ولاسيما الأحرار منهم الذين كانوا مخلصين ومفكرين ومناضلين، إلى الأحداث التي تحدث ولا يزال يحدث التي تقع في فلسطين بين ثورة عنيفة على الحكم البريطاني، وبين معركة عظيمة يخوضها الجميع ضد العرب الصهيونية أوعملية فدائية القائمة بها بعض الشباب المتحمسون من أجل وطنهم، وإلى غيرذلك من المحاقل والميادين والمناسبات والمؤتمرات الداخلية والخارجية التي كانت تتصل بالقضية الفلسطينية في جميع الأزمنة من قريب أو بعيد، وغايتها تكون أن

[1] كامبل اليسوعي، 1922م، ص - 517

تخدم قضية بلادها الحارة التي لا تزال تضرم داخل وطنهم، بكل الإخلاص، فنراها، هي تقول:

يا وطني، مالك يفنى على روح معنى الموت، معنى العدم

أمضك الجر الذي خانه اساته في المأزق المحترم

جرحك، ما أعمق أغواره كم يتنزى تحت ناب الألم

أين الألى استنصرختهم ضارعاً تحسبهم دارك والمعتظم

ولم توقف عليها فحسب، بل تعقبها وتستمر حينما يعقب هذا البغى نداء للأقدار الازمة بأن تكتسح جميع المؤسسات البالية، لعل أملها تتقض (مما علاها من رماد القدم):

كونى اتياً عارماً واجرفى كل ضعيف الروح، واهى القدم

كونى كما شئت لظى يغتلى او عاصفاً يقذف حمر اللحم

واكتسحى أنقاض هذا الحمى من كل ركن خائز... منهدم

اكتسحيها و انفضى أمتى مما علاها من رماد القدم

ونرى أن هذه القصيدة تنتهى بإعلان الثقة الجهوري بالأمة وبتحقيق النار ونوال النصر:

ستنجلى الغمرة يا موطني ويمسح الفجر غواشى الظلم

والأمل الظامى مهما ذوى لسوف يروى بلهيب ودم

في الحقيقة أن فدوى سجلت هذه القضايا كلها في قصيدتها هذه، من النكبة والهزيمة والاضطهاد نحو العرب والعربية الأولى التي واجهها الأمة الفلسطينية المسلمة، حيث تتعرض في الأمة العربية التخاذل والأنانية والانهدامية غير المنتظرة التي سادت الجو العربي عامة إبان المعركة: تنادى الشاعرة بلدها المحزون في أثناء أبيات القصيدة، فنجد غناءها غناء حزينا باكيا والتزامها بقضية البلد والوطن الفلسطيني، ومعاناتها المأساة واضطهاد السلطات المحتلة التي انهلت نحو الأمة الفلسطينية، وأملها

الأخضر الحي الذي لا نهاية له، بانتهاء الليل و انحسار ظلامه في الآفاق الرحبة عن فجر مشرق من أقصى إلى أقصى.

وفي قصيدة لها (الفدائي والأرض) تعبر وتسرد لنا فدوى عن حكاية الأم الفلسطينية عن ولدها المناضل ضد الاستعمار حينما يودعان معاً. فالمجادلة الجارية بين الأم والولد هي أحسن نموذج من النماذج الحي عن نظرة الشاعرة إلى الوطن:

يا ولدى [1]

يا كبدى

من أجل هذا اليوم

من أجله ولدتك

من أجله أرضعتك

دمى وكل النبض

وكل ما يمكنه أن تمنحه أموته

يا ولدى، يا عرسة كريمة

اقتلعت من أرضها الكريمة

اذهب، فما أعزمنك يا

يني إلا الأرض

فكما ترسم الشاعرة بتعابيرها الوطن الفلسطين، يكون هذا خير نمودج للنضال الحقيقي، لأن هذه الأم وهذا الولد هما أعزو أنفع للبلد، لأنه يفدى اثنان أنفسهما لخلاص الوطن من أيدي الظالمين،

[1] من قصيدة "الفدائي والأرض " لفدوى طوقان

والمشهورفي شعر فلسطين هي تستعمل بعض الألفاظ العادفية مثل "الحبيبة" و"الأرض" وأحياناً "الأم" و"الأرض" حيث نجد بينهما الوحدة والعلاقة والصلة من حيث يتجلى الوطن في بعض الأحيان على شكل الأم أو المعشوقة، ونرى أثناء قراءتنا أن الشاعرة في هذه القصيدة ناطقة عن الأمهات اللاتى يحرضن ويشجعن الأولاد والبنين على تحرير الوطن العزيز الذي ولدوا فيه وهم أكبادهن الأعزاء.[1]

ونجد أيضا اتجاه الشاعرة فدوى نحو الوطن والوطنية في قصيدة أخرى، وهي "نداء الأرض إلى الوجه" الذي ضاع في التيه. نرى فيها هي ترفع صوتها عالية صارخة في غصون القصيدة كلها من أجل الآلام والأحزان التي انهالت أكثرعلى الوطن المظلوم والمواطنين، ولأنه أصبح مكاناً مرغوبا فيه لكل أجنبي يريد أن يدخل فيه ويستفيد منه على وجه القهر، حيث لا حلاوة في الحياة شيء يذكر كلما سيطر على الوطن والأمة ظل العدو الأجنبي بل نفسه، فيظن القارئ حين قراءته طوال القصيدة أن الشاعرة هي لم تتعجب منه حينما تقول:

آه يا حبي الغريب [2]

آه يا حبي الغريب لماذا

وطنى أصبح باباً لسقر

ولماذا شجر القفاح صار اليوم

زقوماً، لماذا.....

ولا تزال فدوى تستمر في إنشاد القصيدة شكواها من القضاء والقدر التي تواجهها الأمة، وتغيير الأمور كلها التي أضرت أرضها ووطنها. وتسأل هي "أيوجد من يحل المشاكل العقدة؟" وأخيراً نرى أنها تشبه

---

[1] كنجي، 1371م – ص: 97

[2] من قصيدة نداء الأرض لفدوى طوقان.

بلادها فلسطين بكوزينزف منه ويسيل الدم، لكثرة عدد الشهداء الفدائيين المضطرين في سبيله، وتدعى بأن حياتها ليست حياة غريبة بل هي في الو اقع حياة كل مواطن، ضامنة لهذه الدماء كل الضمان.

فيه ويغمغم [1]

وحياتي تستمر

وحياتي تستمر

الاتجاه القومي

نرى أنه لم يكن موقفها نحو الوطن معزولاً عن الموقف القومي بل كان ذلك يتضمنها أيضا، وكما يقول خالد على مصطفى عن موقف الوطني: "إن التشبث بالأرض هو حفاظ على وجود إنساني يظل مرتبطاً، مهما تعددت صور النظر إليه، بوجود قومى، هو المعنى الذي يشير إليه التشبث بالأرض."[2] وتمثل فدوى هذه الأرض بامرأة تحمي في بطنها سر خصب الوطن. فتقول:

هذه الأرض امرأة [3]

في الأخاديد وفي الأرحام

سر الخصب واحد

قوة السر التي تنبت نخلاً

وسنابل

تنبت الشعب المقاتل ...

---

[1] طوقان، 1988م، ص 533 - 541

[2] من كتاب خالد علي مصطفى عن طوقان

[3] قصيدة "بأرض الوطن" لفدوى

نرى في هذه القصيدة أيضا أن فدوى تخاطب الأرض بلسان أحد الفلسطيني المواطني، وتقول عن هذه الأرض المبروكة "هي الأرض التي تعطيك جميع ما تريد فلابد أن تبقى هي هكذا، وتشبه هذه الأرض بامرأة ولودة تنبت فيها الأشجار الكبيرة والنبات الو افرة وينبت فيها الشعب المناضل معا.

الاتجاه الإنساني

إن كثيرا من الشعراء أبرزوا في قصائدهم، الجانب الإنساني الحي الذي يواجه الصراع العربي الإسر ائيلي: "وهذا ليس مسألة العربي على العجمي أو على اليهود، بل هذا نضال للبقاء في أرض ولدت فيها وبنوا جميع الآمال والأماني في هذه الأرض، وليس هذا مسألة الحقد العربي ضد الأجانب، فقدم هؤلاء الشعراء لنا صوراً إنسانية حقيقة لعلاقات حادة الوثيقة بين العرب واليهود. ولو ألقينا نظرة عامة على دواوين الشعر العربي لشعراء الأرض الفلسطيني المحتلة وخاصة فدوى، لنرى أنها ممزوج بهذه المو اقف الثلاثة بشكل عام، حيث لو تكلمت هي عن الوطن، لا تخلو من التكلم عن ظلم الناس المظلومين، وعن طرد الشعب المستبد المظلوم من دارهم وبلادهم التي لهم حقهم أن تعيشوا مواطنين آمنين في مواطنهم.

حريتى!

حريتى

حريتى

صوت أردده بملء فم الغضب

تحت الرصاص وفي اللهب

وأظل رغم القيد أعدو خلفها وأظل رغم الليل أقفو

خطوها

وأظل محمولاً على حد الغضب

و أنا أناضل واعياً حريتى

في الحقيقه نجد أن فدوى طوقان تعبر وتتحدث في قصائدها كلها أو معظمها عن الحق الإنسانى المفروض عليه والذي يسلب عنها، وعن حياة شعبه، الفلسطيني ونستطيع أن نقول إن الاتجاه الإنساني القومي عند فدوى طوقان موجودة تماما بتياراته المختلفة.

فيمكننا القول أخيرا إن فدوى هي واحدة من كبار رواد شعر العربي المقاوم، هي شاعرة الكلمة التي تساري في أفئدة الأحباء والقراء ويدوي في مسامعهم ويؤثر في وجدانهم أكثر من شعراء المقاومة سواها. لا محالة فيه فإنها بحق شاعرة الوطنية والقومية وصحابة الكلمة الحرة المطلقة، وصاحبة مدرسة شعرية باتجاهه الجديد في المقاومة الفلسطينية التي لم ينضب ويمل معينها، ولم يذب ولم ينتهي رواؤها ولم يأفل بحال ما بريقها ولم ينطفئ وهجها وإشراقها.

الخاتمة:

يتضح من خلال هذا البحث أن الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان تمثل صوتاً شعرياً بارزاً وملهماً في سجل المقاومة الفلسطينية، حيث شكّلت تجربتها الشعرية مرآةً تعكس الوجدان الجمعي الفلسطيني في ظل الاحتلال، وتُجسد معاناة الشعب وتطلعاته في سبيل التحرر والكرامة. لقد سخّرت فدوى طوقان قلمها ليكون أداة للمقاومة والنضال، تنبض به أوجاع الوطن، وتستنطق فيه الآلام، وتستنفر به الضمائر الغافلة.

ظهر في شعر فدوى الطابع الوطني بوضوح، من خلال تصويرها لمعاناة الأرض المغتصبة، وتشرد الإنسان الفلسطيني، وحنينه العميق إلى وطنه السليب. كما عبّرت بصدق عن الموقف القومي العربي، داعية إلى وحدة الصف العربي في مواجهة الظلم الصهيوني، منتقدة الصمت العربي وموقف الأنظمة الحاكمة من القضية الفلسطينية. وعلى المستوى الإنساني، ارتقى شعرها ليعكس أبعادًا شمولية

للنضال، مؤكدة أن مقاومة الفلسطيني ليست دفاعًا عن أرضه فقط، بل عن كرامة الإنسان وحقوقه المشروعة أينما كان.

لقد اتسم شعر فدوى طوقان بالصدق، والبساطة، والشفافية، وعمق العاطفة، دون أن تغيب عنه الفنية والرمزية حين تقتضي الضرورة، فاستطاعت أن توصل رسالتها بوضوح وقوة، دون أن تقع في فخ المباشرة أو الخطابية الجافة. ومن خلال نماذج مختارة من قصائدها، تبين كيف جسّدت مفاهيم الوطن، الأرض، الحرية، الشهادة، والتمرد، بأسلوب شعري يمتزج فيه الألم بالأمل، والحزن بالإصرار، والدمعة بالابتسامة الصامدة.

لقد شكلت فدوى طوقان نموذجًا فريدًا لشاعرة حملت على عاتقها مسؤولية التعبير عن وجدان الأمة، فصارت الكلمة في يدها أداة مقاومة لا تقل فاعلية عن البندقية. وإن دورها في إثراء الشعر الفلسطيني المقاوم يجعل منها منارة مضيئة في تاريخ الشعر العربي الحديث، ومرجعية مهمة لكل من أراد أن يتتبع أثر الكلمة في مسيرة التحرر.

وفي ضوء ما سبق، نستنتج أن فدوى طوقان ليست مجرد شاعرة غنائية رقيقة، بل هي صوت شعبٍ، وضمير قضية، وعقل امرأةٍ حملت همّ أمتها وقضيتها على مدى سنوات طويلة، فجعلت من شعرها سجلاً حياً للذاكرة الفلسطينية، ووسيلة للمقاومة السلمية عبر الكلمة.

وعليه، فإن دراسة شعر فدوى طوقان لا تكتمل إلا بفهم أبعادها السياسية والاجتماعية والنفسية، التي شكلت جوهر تجربتها الأدبية، مما يستوجب المزيد من الدراسات المعمقة في أعمالها للوقوف على الأثر الذي تركته في خارطة الشعر العربي المقاوم، وتقديراً لإسهامها الفريد في ترسيخ الكلمة الحرة في وجه الظلم والاستعمار.

المراجع والمصادر

1. طوقان، فدوى.

رحلة جبلية رحلة صعبة .بيروت: دار الشروق، 1985.

2. طوقان، فدوى.

أعطني حباً .بيروت: دار العودة، 1960.

3. طوقان، فدوى.

اللحن الأخير .عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.

4. كنفاني، غسان.

الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948–1968 .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968.

5. أبو اصبع، صالح.

شعر المقاومة في فلسطين المحتلة .بيروت: دار الطليعة، 1970.

6. خالد علي مصطفى.

الاتجاهات الوطنية والقومية والإنسانية في الشعر الفلسطيني المعاصر .بغداد: دار الحرية للطباعة، 1982.

7. النجار، فيصل.

فدوى طوقان: دراسة في شعرها ونثرها .عمّان: دار الأمل للنشر والتوزيع، 1996.

8. عباس، إحسان.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب .بيروت: دار الثقافة، 1971.

9. الزبيدي، كمال.

شعر المقاومة الفلسطينية: قراءة في المضمون والشكل .دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002.

10. الموسوعة الفلسطينية.

المجلد الثالث، الجزء الأول، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

11. فريحات، هدى.

البعد الإنساني في شعر فدوى طوقان .مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد 45، 2014.

12. مجموعة من المؤلفين.

دراسات في الأدب الفلسطيني المقاوم .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

أهمية استخدام الكتب المرجعية في البحوث العلمية

كوار فوزية

أستاذ محاضر (أ)جامعة أحمد دراية/ أدرار الكلية

كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية والعلوم الإنسانية.

قسم العلوم الإنسانية ل.م.د.

tazi.fouzia01@gmail.com

Abstract: **Scientific research stands as a cornerstone of knowledge and a vital tool that fosters the development and advancement of human civilization. Every significant leap in civilization, across its various dimensions, has been driven by either theoretical or experimental research that expanded the horizons of the human intellect, unleashed latent potential, and unveiled some of the mysteries of existence. The role of scientific research in addressing and resolving a wide array of problems cannot be overstated.**

However, the true value and quality of scientific research are only realized when it is built upon a solid foundation of essential elements and structured steps. One of the most critical of these is the reliance on well-established reference books. These references empower researchers to craft their studies with depth and precision, allowing them to thoroughly explore their research problems and propose effective solutions. Moreover, reference materials help clarify relevant terminology and provide insights into previous studies, ensuring that the research is both original and serious in its academic pursuit. Thus, reference books play a fundamental role in enriching and supporting the scientific research process.

Keywords: **Reference books – Scientific research.**

الملخص:إن البحث العلمي يشكل بابا واسعا من أبواب المعرفة، وأداة مهمة تساعد في مد الحضارة والبشرية بعناصر الحياة والرقيّ، بل إن كل شكل من أشكال الحضارة. وكل رقي في جانب من جو انبها كان وراء بحث نظري أو تجريبي أضاف للعقل البشري بعدا جديدا، وفجّر فيه طاقة مكنونة، وفتح له بابا من أبواب الأسرار المكنونة في هذا الوجود، بل ولا يمكن إغفال دور البحوث في علاج المشكلات بأنواعها والمساهمة في حلها. ولا يمكن أن يكون البحث العلمي بحثا قيما وذا جودة عالية إلا إذا اعتمد على مجموعة من العناصر والخطوات التي تجعل منه ذا

قيمة علمية ومن بين هذه الخطوات إعتماده على مجموعة من الكتب المرجعية التي تمكن الباحث من اعداد هذا البحث والخوص في خبايا مشكلته و ايجاد حلول لها كما تمكنه هذه المراجع من التعرف على كل المصطلحات الخاصة ببحثه وعلى الدراسات التي سبقت موضوعه ليحقق بذلك خاصية مهمة من خصائص البحث العلمي والمتمثلة في الجدية وحداثة الموضوع وهنا يبرز دور الكتب المرجعية في البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: الكتب المرجعية – البحث العلمي.

مقدمة: يمثل البحث العلمي في الوقت الحاضر نقطة الارتكاز الأساسية لأي تطور في كافة المجالات التي تمس الحياة المعاصرة والتي تتسم بكثرة تعقيداتها وعدم ثباتها وتمثل سمة مميزة لهذا العصر الذي يشهد ثورة تكنولوجية هائلة في كافة المجالات، وخاصة في الاتصالات والمعلومات والتي يصعب مواكبتها دون اللجوء إلى البحث العلمي باعتباره الوسيلة الأكثر فعالية لاستيعاب هذه الثورة.

وبما أن العلوم الإنسانية لعبت وما زالت تلعب دورا مميزا في الحياة المعاصرة، وفي نفس الوقت تأثرت العلوم الإنسانية كغيرها من العلوم الأخرى بشكل كبير وأساسي في الثورة التكنولوجية بمختلف جوانبها، لذلك كان إلزاما على المختصين في العلوم الإنسانية استلهام أبعاد هذه الثورة ومحاولة مواكبتها والاستفادة منها وجعلها أكثر ملائمة لمتطلبات الحياة المعاصرة، ولكي يتمكن المختصون من التوصل إلى هذا التلاؤم عليهم إتباع أساليب البحث العلمي الأكثر تطورا وقدرة على الاستفادة من هذه التطورات في البحث والتحليل والتوصل إلى نتائج أكثر دقة تساهم في حل المشاكل التي تواجه المجتمعات المعاصرة وذلك من خلال إعتماد البحوث العلمية على الكتب المرجعية التي لها دور كبير في إثراء البحوث العلمية، هذه الكتب المرجعية التي تحتويها المكتبات بمختلف أنواعها والتي تعتبر خدماتها الواجهة الحقيقية للمكتبات ومراكز المعلومات ومن هنا نطرح التساؤل التالي: فيما يكمن دور الكتب المرجعية في البحوث العلمية؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه الورقة البحثية من خلال التطرق إلى مجموعة من العناصر والمتمثلة فيما يلي:

1- مفهوم البحث العلمي.

2- شروط البحث العلمي.

3- أسلوب البحث العلمي وخصائصه.

4- مراحل البحث العلمي.

5- أنواع البحوث العلمية.

6- تعريف الكتب المرجعية.

7- دور الكتب المرجعية في البحوث العلمية.

1. مفهوم البحث العلمي:

لغة: البحث هو مصدر الفعل الماضي بَحَثَ بمعنى فتش وتقصّى وسأل وحاول و اكتشف وتتبّع، ومعناه لغة "نقب طلب شيئا وحاول وجوده بكل السبل، فحص بعينيه ويديه"[1] أما كلمة علمي فهي منسوبة إلى لفظة علم وتعني المعرفة والدراية وإدراك الحقائق.

اصطلاحا: بما أن العلم يعني الإحاطة والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها، فإن البحث العلمي هو «التقصي المنظم بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها».

وقد اختلف الكتّاب في وضع صيغة تعرّف مصطلح البحث، وأذكر هنا بعض التعريفات:

«البحث هو العمل الذي يتم إنجازه لحل أو محاولة حل مشكلة قائمة ذات حقيقة مادية»، وهو «محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها، وتنميتها وفحصها وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك، لكي تسير في ركب الحضارة العالمية وتساهم فيه مساهمة إنسانية حية شاملة»[2].

---

[1] أنطوان نعمة وآخرون.- **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**. ط02. دار المشرق، بيروت، ص.35

[2] عبد الهادي الفضلي. **أصول البحث**. ط1. دار المؤرخ العربي، بيروت، ص ص10-12

فالبحث العلمي إذا هو التفكير والإدراك للمعرفة الإنسانية ويأتي عن طريق الدراسة والاستقصاء والملاحظة، وهذا ما يسمى بالمنهج العلمي الذي يعتمد على الإدراك والملاحظة والتفكيروالاستدلال لإظهارالحقائق، إن جمع الحقائق بأسلوب علمي يُنمي المعرفة الإنسانية ويكشف لنا معلومات وعلاقات جديدة والتحقق منها يحل مشكلات الإنسان التي تر افقه بموضوعية ونزاهة.

. وعلى الرغم من تعدد المفاهيم والتعريفات المتعلقة بالبحث العلمي فإنها تشترك جميعها في النقاط التالية[1]:

- استقصاء دقيق يهدف إلى كشف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلا.
- محاولة منظمة يتم تنفيذها وفق أسلوب أو منهج معيّن.
- عملية إضافة معارف جديدة يمكن التوصل إليها عن طريق النشاط الفعلي للإنسان.
- النشاط الذي يعبر عن المعارف والحقائق بعد فحصها وتقييمها والتأكد من صحتها عن طريق التجريب والبرهان.
- وسيلة مناسبة للوصول إلى حل للمشكلة عن طريق اكتشاف الحقائق، وبذلك يمكن من خلاله التكيف مع البيئة والسيطرة عليها.

2. شروط البحث العلمي:

إن البحث مجهود منظم ، لأخذ ملاحظات، ولإجراء تجارب، وله قيمته العلمية ويستحق البحث أن يكون بحثا (أن تكون له مشكلة تستدعي الحل)، إلا إذا أقيم لحل مشكلة معينة أكاديمية أو تطبيقية متخذا المنهج العلمي سبيلا لذلك (استخدام العقل والمنطق لترتيب الدليل في حجج و إثباتات حقيقية يمكن أن تؤدي إلى حل المشكلة)، وتتلخص الشروط الواجب تو افرها في البحث في ثلاثة أمورهي:

[1] ربحي مصطفى عليان وآخرون. أساليب البحث العلمي وتطبيقاته في التخطيط والإدارة.ط01. دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008،ص 19

- الأصالة: ويقصد بذلك السلوك العلمي في كل طرق البحث ووسائله ومنهجه لتحقيق الهدف منه، وذلك في ذكاء، ونظام، ومنطق، وأمانة علمية.
- الابتكار: وذلك بعمل إضافة جديدة، أو بالكشف عن شيء جديد، لم يأت به أحد من السابقين، ويعني ذلك القراءة الواسعة لم كتبه السابقون والمعاصرون في الموضوع، فالقراءة هي نصف الابتكار، والذكاء متمّم لها في الكشف عن الجديد و ابتكاره.
- الحل المحدد: وهو يعتبر الإجابة على السؤال أو المشكلة التي تواجه الباحث؛ فالبحث العلمي الكامل يجب أن يبنى نتائجه بصفة أساسية على الحقائق، وبالإضافة إلى تجميع الحقائق، فإن الباحث يمكن أن يتعرف على ما يمكن أن تكون عليه آراء الخبراء مفيدة لأغراض التعزيز والتأكيد ولكنها لا تحل محل الحقائق، وبعد أن يتأكد الباحث من الحقائق، فإنه يقوم باختبار وتحري النتائج التي يصل إليها بجميع الطرق الممكنة، وذلك للتأكد من أنه على حق فيما انتهى إليه من نتائج، وهو يضع الأسئلة التالية في اعتباره، هل يتفق الحل مع جميع الحقائق المعروفة؟ هل الحقائق واضحة وكافية لتأكيد أو تأييد النتيجة التي وصل إليها؟ وهل كان خط الحوار والمناقشة خطا منطقيا ؟

فإذا اجتمع بالبحث هذه الشروط الثلاثة، كان بحثا على غاية الأهمية، وإذا توفر عنصر واحد، كان على درجة ما من الجودة، ولكي يكون الباحث باحثا علميا يجب أن تكون المعارف التي يتناولها علمية، وأن تكون طريقته في البحث علمية وإلا فإن العمل يخرج عن نطلق البحث العلمي.

3. أسلوب البحث العلمي وخصائصه:

يمتاز البحث العلمي بجملة خصائص تعبّر عن المستلزمات الأساسية التي يتطلبها الجهد العلمي المبذول لإنجاز مثل هذا العمل، وفي مقدمة هذه الخصائص أن يكون عرض الأفكار والنتائج واضحا، بسبب كون الحقائق من مصادر مختلفة، وتبويبها وطريقة معالجتها، وعرضها بالشكل المتسلسل المترابط للأفكار والمواضيع تعد عملية شاقة ومعقدة تتطلب مهارات معينة،.

ويمكن إيجاز خصائص البحث العلمي بما يلي:

- إن عملية البحث العلمي عملية معقدة شاقة تستلزم درجة عالية من الجهد المنظم والتحليل النزيه ومن العلم بأسسها وطرقها ومناهجها ومن التدرب على عملياتها المختلفة وعلى استعمال وسائلها.
- يبدأ البحث الرصين عادة بإثارة سؤال أو استفسار عن الظاهرة المراد دراستها، وبالتالي ينصب الاهتمام حول إيجاد التفسير والأجوبة المناسبة حول الموضوع.
- البحث العلمي نظري، لأنه به يتم الانتقال من الو اقعة الخام إلى الو اقعة العلمية.
- البحث العلمي تجريبي أو تجريدي أو معياري حسب خصائص الموضوع المبحوث. كما أنه حركي وتجديدي لأنه باستمرار يحاول مقاربة الحقيقة ما أمكن.
- البحث العلمي كشفي وتفسيري، فهو يكشف عن سنن الوجود، ويزيد من قدرة الإنسان على تفسير الأحداث من أجل إشباع التوق المشروع للمعرفة.
- يتطلب البحث العلمي المنظم تحديدا دقيقا للمشكلة أو الظاهرة المشخصة، كما يستلزم إعداد خطة عمل واضحة ووفق مراحل لتحديد أسلوب ومستلزمات تنفيذه، إضافة إلى أنه يركز على معالجة مشكلة أساسية تتبعها مواضيع فرعية بالاعتماد على فرضيات مبنية على مسلمات واضحة أي أنه يربط المتغيرات بعلاقات محددة مع الظاهرة.
- للبحث العلمي صفة دورية وتكاملية، بمعنى أن الوصول إلى حل المشكلة قد يكون بداية لظهور مشكلات فرعية بحثية جديدة تتطلب المعالجة، هذه العملية تتسم بالاستمرارية طالما أن هناك مشاكل جديدة، وعدم جدوى معالجة كافة المشاكل في بحث منفرد.
- البحث العلمي عمل هادف، وللنتيجة التي يتم التوصل إليها خاصية هي إمكانية التحقق منها و إثباتها بالتجربة والبرهان ومن ثم الميل نحو تعميقها ونشرها.

وبالتالي فمن خصائصه أنه يخدم غايات عامة وليس غايات خاصة، ومن ثم نتائجه تكون عامة لا يقف

تطبيقها عند المو اقف والظواهر التي جرى عليها البحث.

هذه بعض خصائص البحث العلمي، وهي خصائص عامة تنطبق على جميع أنواع البحوث سواء كانت بحوثا في العلوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية، ومهما يكن فإن أهم عامل مشترك بين جميع البحوث، سواء كانت نظرية أو ميدانية اجتماعية أو طبيعية يتمثل في استخدامها للمنهج العلمي.

4. مراحل البحث العلمي:

يمر البحث العلمي بخطوات هامة ينبغي مراعاتها أثناء إخضاع أي موضوع للدراسة، إذ هناك من يصنف هذه الخطوات إلى:

- تشخيص المشكلة وتحديدها.
- صياغة الفرضية.
- جمع المعلومات.
- تحليل المعلومات وتفسيرها.
- استنباط الاستنتاجات وطرح التوصيات وتطبيقها ومتابعة التنفيذ.[1]

5. أنواع البحوث العلمية:

يمكن إجمالا أن يشتمل البحث العلمي على التجريب وتحليل الوثائق والدراسات التاريخية والوثائقية والمسوح العلمية ويمكن أيضا تصنيف البحوث العلمية تصنيفات بقدر الأسس المعتمدة للتصنيف، ، ذلك أن مجالات وحقول البحث واسعة جدا، بحيث تغطي كافة الفعاليات الإنسانية ورغبات واحتياجات الإنسان، وتختلف البحوث باختلاف حقولها وميادينها العلمية والاجتماعية والفنية والثقافية...وغيرها. ويمكن أن تصنّف إلى ثلاثة أنواع رئيسية كالآتي:

- البحث النظري :

[1] مهدي حسن زويلف، تحسين أحمد الطراونة. منهجية البحث العلمي. دار الفكر للطباعة والنشر،ط01. عمان، 1998، ص35

وهو ذلك النوع الذي يقوم به الباحث من أجل إشباع حاجته للمعرفة أو من أجل توضيح غموض يحيط بظاهرة ما دون النظر إلى تطبيق نتائجه في المجال العملي أو الاستفادة منها في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب، وهو يعتمد بصورة رئيسية على الفكر والتحليل المنطقي والمادة الجاهزة والموجودة عادة في المكتبات. كما يستهدف إيجاد العلاقات والترابط بين النظريات المختلفة ونواحي اختلافها أو تطابقها. أما الدوافع التي تكمن وراء إعداد هذا النوع من البحوث فهي السعي وراء البحث عن الحقيقة وتطوير المفاهيم النظرية، ومحاولة الوصول إلى استنتاجات محددة حول بعض الظواهر، و أفضل الأمثلة على هذا النوع من البحوث هي تلك التي تجري في حقل الرياضيات البحتة.

- البحث التطبيقي:

يتجه هذا النوع من البحوث إلى إيجاد حل لمشكلة قائمة، أو التوصل إلى علاج لموقف معين، فهو في العادة يبدأ بمشكلة عملية متأتية في مجال العمل الذي تتواجد فيه الظاهرة؛ ويعتمد هذا النوع من البحوث على التجارب المختبرية والدراسات الميدانية بهدف التأكد من إمكانية تطبيق النتائج في دنيا الواقع ومن الأمثلة على ذلك تلك البحوث التي تجريها الشركات لإيجاد حلول لمشاكل التسويق أو غير ذلك[1]. ويجب التأكيد هنا على أن تقسيم البحث العلمي إلى نظري وتطبيقي هو تقسيم مثالي إلى حد ما فمعظم البحوث هي مزيج من النظرية والتطبيق.

- البحث النظري التطبيقي:

يعتبر هذا النوع من البحث أكثر تقدما من النوعين السابقين، حيث يقوم الباحث بالإضافة إلى الخطوات السابقة بالتعميم الذي يعتمد على الحقائق المستخلصة من البحث فهو خطوة متقدمة عن مجرد الحصول على الحقائق، وهو يستند إلى فطنة الباحث وذكائه خاصة في بحوث الأدب والفلسفة حيث تحتوي على آراء الباحث ومقارناته وتفسيره وتقييمه لكل الأفكار، فهو يهتم بترتيب المعلومات وتصنيفها، و إبراز نقاط قوتها أو ضعفها.

[1] محمد عبيدات وآخرون. منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات. دار وائل للنشر، عمان، 1999، ص06

وتختلف صيغ إعداد البحوث النظرية التطبيقية، فهي إما أن تستعرض الجانب النظري ابتداء، ثم تنتقل إلى الجوانب التطبيقية، أو أن تدمج ضمن فصولها الفقرات الخاصة بالنظرية مع التطبيق لغرض إثارة المناقشات ولسهولة المتابعة.

6. تعريف الكتب المرجعية:

أ- الدلالة اللغوية:

كلمة مرجع وجمعها مراجع هي المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي [1] Référence، مصدر للفعل رجع ويعني الرجوع، ومحل الرجوع- كالمنزل والمقعد – وما يرجع إليه في علم أو أدب من عالم أو كتاب. أي أنه الموضع أو المكان الذي يرجع إليه شخص من الأشخاص أو الذي يصرف إليه شيء من الأشياء أو الذي يرد إليه أمر من الأمور، ومن ثم فإن كتاب" مرجع " لمن يريد الإطلاع والقراءة والبحث عن المعرفة. هذا هو المعنى اللغوي لكلمة "مرجع " في الثقافة العربية[2].

أما معناها في اللغة الإنجليزية فقد أورد The oxford english dictioary للمصطلح Référenceعدة معان منها:

- الإحالة إلى معلومات معينة في كتاب أو مقالة وهذا المعنى يستخدم منذ بداية القرن 17
- العلاقة التي تشير إلى مكان وجود المعلومات في كتاب أو تحيل إلى كتاب آخر.
- ما يستخدم لغرض المراجعة أو الاستشارة، وقد بدأ في استخدام هذه الدلالة الأخيرة منذ عام 1836[3].

ب- الدلالة الاصطلاحية:

المرجع اصطلاحا في الدراسات التاريخية: يميز المؤرخون بين المصدر والمرجع على أساس الوساطة أو

---

[1] LAVIGNE,Nicole . les outils de référence sur les municipalités : ou trouver quoi ? Documentation et bibliothéque.jan-mars 1994.p47

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط. منقحة مشكلة ومزيدة. دار المعارف،1981،القاهرة.ج.8،ص.114

[3] The Oxford English Dictionary. Oxford : clarendon press. 1961. ,p337

المباشرة في تقديم المعلومات، فالمصدر في نظرهم هو الذي يمدهم بالمعلومات بطريقة مباشرة كالآثار والوثائق والكتابات المعاصرة للحدث التاريخي والمرجع هو الذي يمدهم بطريقة غير مباشرة تبين وجهات نظر المؤرخ الحديث وتحليلاته للأحداث القديمة.

المرجع اصطلاحا في تاريخ الأدب: المصدر في الدلالة الأدبية يعني كل اهتمام ينصب على تراث فكري يمثل حلقة من الحلقات التي طورت الأدب العربي عبر العصور، وهذا يعني أن ما أنتجه العقل البشري من شعر وخطب وأمثال وأدب يعتبر من المصادر التي تمد الباحث بمادة أساسية لا غنى له عنها، أما المرجع فهي ما تفيد في دراسة تاريخ الأدب من خلال ما كتب حول التراث نفسه[1].

المرجع اصطلاحا في الدراسات الأكاديمية: تعني كلمة مصادر الكتب أو المؤلفات التي تكون موضوع البحث أو الرسالة، أما كلمة مراجع فتعني الكتب والمقالات والبحوث وغيرها التي كتبت سابقا حول موضوع البحث أو الرسالة.

المرجع اصطلاحا في علم المكتبات والمعلومات: ففي هذا المجال لا يعرف بالتحديد متى بدأ الاستخدام الاصطلاحي لكلمتي مصادر ومراجع ولذلك اختار المكتبيون العرب كلمة مراجع، كتب المراجع تقابل référence books وكلمة مصادر لتقابل في المعنى كلمة sources فالمصادر أعم من المراجع[2] .

ومن خلال ما تقدم من تعريفات نستخلص أن الكتاب المرجعي يتميز ب:

- أنه الكتاب الذي وضع ليستشار من أجل معلومة أو معلومات معينة.
- لا تسمح طبيعة تكوينه أن يقرأ بأكمله قراءة مفصلة ومتتابعة[3].
- لاتعار خارج المبنى.
- ضخامة الحجم والعدد في الأجزاء والمجلدات.

---

[1] شاهر ذيب، أبو شريح. **دراسات في علوم المكتبات**. دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000،عمان .ص. 314

[2] الحزيمي، سعود بن عبد الله. **المراجع العربية: دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة**. الإدارة العامة للبحوث، 1990، المملكة العربية السعودية،ص.21

[3] الهجرسي، سعد محمد. **المراجع ودراستها في علوم المكتبات**. جمعية المكتبات المدرسية،1981، القاهرة،ص.28

- دقة المعلومات وحداثتها.
- شموليتها من حيث التغطية في معالجتها للموضوعات[1].
- يشترك فيها مجموعة من المؤلفين[2].
- ارتفاع أثمانها.
- الاختصار والتركيز في معالجة الموضوعات وعرضها[3].

الكتاب المرجعي كيان فكري لا ترتبط وحداته ببعضها البعض بحيث إذا سقط بعضها نقص وجود الوحدات الأخرى، ولكنه ارتباط متحرر نسبيا كل وحدة فيه تستطيع أن تؤدي وظيفتها في شبه استقلال عن الباقيات.

تعتبر الكتب المرجعية القاسم المشترك لجميع المكتبات وهي مصدر أساسي من مصادر المعرفة البشرية التي يمكن من خلالها الوصول إلى الحقائق العلمية المختلفة[4].

7. دور الكتب المرجعية في البحوث العلمية :

يعتبر البحث العلمي في يومنا هذا جزءا لا يتجزأ من عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية،وتبرز أهميته فيما يلي:

- مواكبة التطورات المختلفة بهدف تقليل الفجوة المعرفية والتكنولوجية.
- اكتشاف الحلول المناسبة للمشاكل ووضع المعالجات المناسبة.
- الإجابة عن التساؤلات التي تمثل استنتاجات يقدمها الباحث في هذا المجال.
- تحديد الإجابات المناسبة بالاستناد على قاعدة واسعة من البيانات والمعلومات تمكّن من تحديد الإجابات واختيار الإجابة المنطقية.

---

[1] حشمت، قاسم. **المكتبة والبحث**. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: [د.ت.]، ص.89

[2] رشاد، حسن. **المكتبة ورسالتها**. ط.3 مزيدة ومنقحة. [د.م.]: دار الفكر العربي،[د.ت.] ،ص.219

[3] قندلجي، عامر ابراهيم؛ عليان ربحي، مصطفى؛ السمرائي، ايمان فاضل. **مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الانترنت**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2000.عمان .ص.77

[4] عبابدة، حسان. **مصادر المعلومات وبناء وتطوير مقتنيات المكتبات**. [د.ن.]،[د.ت.]، القاهرة.ص.38-39

- زيادة المعرفة التي هي مزيج من المفاهيم والأفكار والقواعد والإجراءات التي توجه الأفعال والقرارات وكذلك تمثل معلومات ممتزجة بالتجربة، والحقائق والأحكام والقيم التي تعمل مع بعضها كتركيب فريد يسمح للأفراد والمنظمات بخلق أوضاع جديدة.
- اكتشاف الحقائق والتخلص من الغموض والتحقق من الفرضيات.
- تحسين وسائل وأساليب الإنتاج.
- زيادة الخبرة والموروث المعرفي المتراكم.
- المساعدة على وضع الاستراتيجيات و اتخاذ القرارات.
- تكييف وتعديل وضع الخطط بالشكل الذي يحقق الأهداف المرجوة.
- نيل شهادة و إيفاء مستلزمات الدراسة وهو الهدف الظاهر، بالإضافة إلى الارتقاء في درجات السلّم الوظيفي أو في الألقاب العلمية.

ومما سبق تتجلى لنا أهمية الاعتماد على الكتب المرجعية في البحوث العمية، بحيث هي تلك الكتب التي تقدم لنا المعرفة الإنسانية في صور وأشكال تختلف باختلاف طبيعة كل منها، ذات قيمة كبرى بالنسبة للبحث العلمي وكذا الباحثين ذلك لأنها تعرض جهود الخلاقة المبدعة في مختلف مجالات البحث العلمي والأدبي والفني، وترينا مو اقع أقدام السابقين في كل مجال من تلك المجالات، وإلى أين انتهى بهم المطاف، من سعيهم وراء الحقيقة والكشف العلمي.

وعليه فإن قيمة الكتب المرجعية العامة بالنسبة للأبحاث العلمية والأدبية، تتلخص في أنها تعرض أحدث صور لما انتهت إليه هذه الأبحاث، وهي صورة قد تكون مفصلة ولكنها دقيقة على كل حال، لأن الذين يقدمونها هم أعلام الباحثين المتخصصين، في كل مجال تخصصه[1] .

[1] سعيد أحمد، حسن. المكتبات الجامعية: نشأتها وتطورها وأهدافها ووظائفها. بيروت: دار الجيل، 1992.ص.129

خاتمة:

إن من أهم أدوات إعداد البحث العلمي المراجع أو الكتب المرجعية، فهي من أبرزا أدوات المعتمدة بشكل مبيروواسع في البحوث قديما وحديثا. حيث لا يمكن لأي كان أن يلغي استحضارها في أي بحث ، وتكمن أهميتها في إعطاء فرصة الاطلاع على أهم الدراسات السابقة، وكيفية تطبيق المناهج في الدراسة، والتعرف على طريقة الدراسة الميدانية من خلال التحديد العينة وكذا أدوات جمع البيانات، ولا يكون ذلك إلا بانتقاء أنسب الكتب المرجعية التي تدرس موضوع البحث بشكل جيد وبهذا تختصرعلى الباحث جهدا ووقتا كبيرين.

وختاما لهذه الورقة البحثية ومن خلال ما تقدم يتضح أن للكتب المرجعية أهمية ودور بالغ في البحوث العلمية لا يمكن إنكاره أو تجاهله من خلال ما تقدمه من معلومات قيمة وجدية وحديثة، كما تهدف هذه الأخيرة إلى مساعدة ومعاونة الباحثين على اختلاف مستوياتهم في الحصول على المادة الفكرية عن طريق الإرشاد والتوضيح والإعلام، كما لا يمكن إنكار التطورات والتغيرات الحاضرة والمستقبلية التي مست الكتب المرجعية والتي سهلت استخدامها وسرعت الوصول إليها من قبل الباحثين لأنه وفي الأخيرتعتبر الكتب المرجعية بمثابة القلب والروح في البحوث العلمية،

قائمة المصادروالمراجع:

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط. منقحة مشكلة ومزيدة. القاهرة: دار المعارف،1981، ج.8.

-أنطوان نعمة وآخرون.- المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ط02. دار المشرق، بيروت.

-الحزيمي، سعود بن عبد الله. المراجع العربية: دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة. المملكة العربية السعودية: الإدارة العامة للبحوث، 1990.

-الهجرسي، سعد محمد. المراجع ودراستها في علوم المكتبات. القاهرة: جمعية المكتبات المدرسية،1981

-عبد الهادي الفضلي. أصول البحث. ط1. دار المؤرخ العربي، بيروت.

-ربحي مصطفى عليان وآخرون. أساليب البحث العلمي وتطبيقاته في التخطيط والإدارة.ط01. دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008.

-مهدي حسن زويلف، تحسين أحمد الطراونة. منهجية البحث العلمي. دار الفكر للطباعة والنشر،ط01. عمان، 1998.

-محمد عبيدات وآخرون. منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات. دار وائل للنشر، عمان، 1999.

-شاهر ذيب، أبو شريح. دراسات في علوم المكتبات. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000.

-حشمت، قاسم. المكتبة والبحث. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،[د.ت.].

-رشاد، حسن. المكتبة ورسالتها. ط.3 مزيدة ومنقحة. [د.م.]: دار الفكر العربي،[د.ت.] .

-قندلجي، عامر ابراهيم؛ عليان ربحي، مصطفى؛ السمرائي، ايمان فاضل. مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الانترنت. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2000.

-عبابدة، حسان. مصادر المعلومات وبناء وتطوير مقتنيات المكتبات. القاهرة:[د.ن.]،[د.ت.].

- سعيد أحمد، حسن. المكتبات الجامعية: نشأتها وتطورها وأهدافها ووظائفها. بيروت: دار الجيل، 1992.

-LAVIGNE,Nicole . les outils de référence sur les municipalités : ou trouver quoi ? Documentation et bibliothéque.jan-mars 1994.

-The Oxford English Dictionary. Oxford : clarendon press. 1961.

صور من الخطابة لدى الشيخ عبدالكريم يحيى:

"دراسة في الموضوع والفن"

عبدالكافي عثمان البشير

كلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية "ميدغري"

usmanabdulkafi@gmail.com

09034963037

ABSTRACT: **This paper is titled "Selected Rhetoric from of the Poet Sheikh AbdulkarimYahaya; Presentation and Analysis." It is a study of the art of rhetoric, which is a style of artistic prose that depends on the audience's attention. It aims at persuadingand influencing the mind of the listeners. The Arabs have found in it(rhetoric), the best way to incite fighting and arouse enthusiasm. With it, the Arabs proud in their scenes, (with it) the caliphs and emirsspoke on their pulpits, (with it)speech is distinguished, and it is the one by which the generality of the public and privates are addressed. And since Islam was an intellectual, social, political and economic revolution, it must have an impact on rhetoric. So rhetoric flourished in this era (i.e. present era)because Islam needed it as an important tool and a powerful weapon it used in spreading its principles and teachings.**

ملخص: هذه المقالة المعنونة ب "صورمن الخطابة لدى الشيخ عبدالكريم يحيى: عرض وتحليل، عبارة عن دراسةفن الخطابة التي هي نمط من أنماط النثرالفنِّي الذي يعتمد علىمشافهة الجمهور، ويهدفُ إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين، وقد وجد العربُ في الخطابة خيرَ وسيلةٍ للحضِّ على القتال، و إثارة الحماس، واجتلاب النفع، بها تفاخرت العرب في مشاهدهم، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم، وبها يتميّز الكلام، وبها يخاطب الخاص والعام، ولمّا كان الإسلام ثورةً فكرية، واجتماعية، وسياسية، و اقتصادية...فلا بدَّ أن يكون له أثره في الخطابة؛ لذلك ازدهرت الخطابة في هذا العصر لحاجة الإسلام إليها بوصفها أداةً مهمّة، وسلاحاً قوياً، استعانَ بها الإسلام في نشر مبادئه وتعاليمه.

المقدمة: إنّ الخطابة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنســان منذ عهدٍ مبكر، وهي تهدف إلى التأثيرفي نفوس الســامعين واســتمالتهم و إقناعهم؛ لهذا اتخذها الأنبياء أداةً مهمّة في نشــر تعاليمهم، وشــدّ الناس إليهم، ولم يستطيعوا أن يهدوا الأمم إلاّ بقوة المنطق، وبراعة البيان.وقد قطع الأدب العربي شوطاً طويلاً في تطوّرهذا الفن

حتى بلغ أوج عظمته من الرُّقي والازدهار في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية، ثم ما لبث أن أصابها الوهن في العصر الوسيط الذي نحن بصدد دراسة الخطابة فيه.وليبين الباحث كيفية ذلك كتب هذه المقالة بعنوان: "صور من الخطابة لدى الشيخ عبدالكريم يحي: عرض وتحليل"، وتكون المقالة بعد المقدمة على ما يلي: ترجمة الشاعر، تعريف الخطابة نشأتها و أنواعها، والخصائص الفنية لهذا الفن من حيث الصياغة والأسلوب والمضمون، ثم الخاتمة.

التعريف بالشيخ عبد الكريم يحي

هو عبد الكريم بن يحي بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الكريم،، ولد سنة 1355هـ بقرية تتَاَكُرَا، وهي ديار أخواله الو اقعة في إقليم ران التابع لحكومة أنغالا المحلية بولاية برنو بنيجيريا.

بدأ الشيخ عبد الكريم في طلب العلم منذ أن كان صغيرا يافعا عند عمه، التقي الزاهد الحافظ عبد الكريم يحي، وتنقل كثيرا بين القرى والمدن طالبا للعلم، ومن ضمن هذه الأماكن التي تنقل فيها قرية ماسه، وقرية مبليري، وقرية أم فيضان وقرية موطوري وقرية غونيري، ومدينة كسري، ومدينة ميدغري، وأخيرا مدينة غمبارو أنغالا، التي اختارها فيما بعد لتكون مقرا لإقامته،1

ومنذ إقامته في مدينة غمبارو أنغالا تنقل في معظم أحيائها، وقد سكن في حي الحنفية الكبيرة إلى حي الشاطي شرق السوق إلى شمال المدينة إلى الحي الغربي، وفيه أخذ الورد التجاني، ومن ثم انتقل إلى شمال السوق وأخيرا استقر بمسكنه الحالي، بحي انجمينا، وبه أسس مسجده الجامع، الذي تقام فيه الجمعة منذ عام 1409هـ[2].

شيوخه:

أخذ الشيخ عبد الكريم العلم عن شيوخ كثيرين أشتهروا بالمعرفة والضلوع فيها، منهم الشيخ الكبير المربي الشهير الحافظ لكتاب الله العزيز عبد الله حسين، "قصرة" أوصله به عمه وكافله الذي كان تلميذا للشيخ عبد

الله حسين، فلازماه معا وأخذا عنه العلم والأدب، ومن ضمن الكتب التي تلقاها من الشيخ كتاب الرسالة والعزية ومختصر الإمام خليل، ولازمه حتى وفاته، وكان ممن يبجلهم ويقربهم، ويدعو له في خلو اته وجولاته، ويعتبره فاتحة معلوماته في الفقه وعلوم العقيدة.

وممن استفاد منهم الشيخ عبد الكريم يحي أيضا الشيخ الحافظ عبد الله يحي "ولد نغاسي" وكان عالما متبحرا في علوم اللغة والحديث والشريعة، إضافة إلى معرفته بالقرآن الكريم، وتفسيره، وقد التحق به بعد رجوع الشيخ عبد الله من الحجاز سنة 1375هـ نزل بفورتلامي، ومن ثم انتقل إلى قرية تتاكرا، سنة 1377هـ حيث التقى به الشيخ عبد الكريم يحي ولازمه في حله وترحاله، ناهلا من علومه ومعارفه وأخذ عنه العلم وقرأ أجزاء من القرآن الكريم واستمر لقائهما حتى بعد انتقال الشيخ من قرية تتاكرا، إلى مدينة غمبارو أنغالا[1].

أثاره العلمية والأدبية:

آثاره كثيرة جدا، ولا زال عطاؤه مستمر، ومن بين الكتب التي كتبها ما بين منثورومنظوم:

كتاب الفتح الكريم، وهو عبارة عن خطب ومواعظ مقتبسة من الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة و أقوال الصالحين والحكماء، يضم ستين خطبة في مختلف الموضوعات التي يستدعيها الوقت، وكتاب العقيدة النورانية، وهو عبارة عن دراسة في الفكر والعقيدة والتوحيد، ومختصر الشنشوري الأنوار القمرية في شرح المنظومة الرحبية، وهو كتاب جامع في علم المواريث تم طبعه عام 2013م[2].

مفهوم الخطابة:

إن لفظ الخطابة واحد من الصيغ المصدرية الأربعة، خَطَبَ، يَخْطُبُ، خَطَبًا، خِطَابة.

الخطبة: الشأن والأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما شأنك أو أمرك. وخطب المرأة يخطبها خطبا، والخطبة التقدم لطلب يد المرأة للزواج منها[3] قال الجوهرى وخطب الخطيب على المنبر خُطْبَة بضم الخاء ورجل خطيب،

أي صار خطيبًا[1].

وقال الجوهرى: خطب على المنبر خُطْبَة بضم الخاء. وخطبة المراة خِطْبَة بكسر الخاء واختطب فيهاوفي المنجد: خَطَبَ، يَخْطُبُ، وَخِطَبًا، وَخِطَابَةً[2].

واصطلاحاً: فهي فن من فنون النثر، أركانه الكلمة الفصيحة، والعبارة البليغة. يستعملها الخطيب لإقناع سامعيه بأفكاره الصائبة، أو نشر عقيدته، أو لنقل مشاعره، وأحاسيسه النفسية.[3]

وعرفها أُرسطو (Aristole) بأنها القوة القادرة على الإقناع وهذا التعريف أقرب إلى المنطق منه إلى الفن، وقد ذكروا أن أرسطوكان يضم الخطابة إلى المنطق لا إلى الفن[4].

عرفها آخر: الخطابة علم يقتدر بتطبيق قواعده وبدعامة الملكة الراسخة في نفس المتكلم على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحلهم على ما يراد منهم بإقناع العقل وإمتاع النفس.[5]

وعرفها الدكتور صالح علي بن أبو عراد: إن الخطابة فن أدبى راق، وهي صناعة عظيمة تهدف إلى التأثير في نفوس الآخرين، كما أنها تعد أبرزوسائل مخاطبة الجماهير منذ القدم في شئون الحياة المختلفة للدعوة والتعليم والتوعية واستنهاض الهمم وحل المشكلات وفك النزاعات وقيادة الجماهير وغير ذلك من الأحوال والمناسبات المتنوعة.[6]

حدُّ الخطابة العربية وتاريخها

فنُّ الخطابة نمط من أنماط النثر الفنّي يعتمد مشافهة الجمهور، ويهدفُ إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين، وقد وجد العربُ في الخطابة خيرَوسيلةٍ للحضِّ على القتال، و إثارة الحماس، واجتلاب النفع،

و اتقاء الشـرّ، ومقارعة الظلم، وحقن الدماء؛ ولهذا عنوا بها عناية فائقة، فهي "من مسـتودعات سـرّ البلاغة، ومجامع الحكم، بها تفاخرت العرب في مشـاهدهم، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم، وبها يتميّز الكلام، وبها يخاطب الخاص والعام"[1].

وقد أملت الحياة القاسـية على عرب الجاهلية نشـوب الخصـومات والنزاعات والحروب، وكانت الحروب والغارات من الظواهر البارزة في حياة عرب الجاهلية؛ لذلك ازدهرت الخطابة عندهم؛ لارتباطها بو اقعهم ومصيرهم؛ فكانت سلاحهم الذي يصحبهم في حربهم وسلمهم، فهي في الحرب تحضّهم على إيقاظ الهمم، وشحذ العز ائم، و إثارة الحماس، وفي السلم تدعوهم إلى المبادرة بالصلح، وإطفاء النائرة، وحقن الدماء[2].

وتزدهرُ الخطابةُ عموماً إبّان الأحداث السـياسـة، والتطورات الفكرية، ولمّا كان الإسـلام ثورةً فكرية، واجتماعية، وسـياسـية، و اقتصـادية..... فلا بدَّ أن يكون له أثره في الخطابة؛ لذلك ازدهرت الخطابة في هذا العصـر لحاجة الإسـلام إليها بوصـفها أداةً مهمّة، وسـلاحاً قوياً، اسـتعانَ بها الإسـلام في نشـر مبادئه وتعاليمه، يقول أبو هلال العسـكري:"والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين، لأنّ الخطبة شـطر الصـلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجُمعات والجماعات، وتشـتملُ على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تُدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله. عزّوجل. من ذلك في كتابه إلى غير ذلك من منافع الخطب[3].

وكان للقرآن الكريم أثره البالغ على الخطابة، إذ بعث في نفوس الخطباء حسّـاً جمالياً دفعهم إلى مجاراة أسـلوبه، فأخذوا يوشـحون خطبهم بالآيات تمثلاً وإشـارة، ووضـعها بالمواضـع الملائمة لها من الخطبة، يقول الجاحظ:"وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي كلام يوم الجمع آي من القرآن، فإنَّ ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وسـلس الموقع، وصـارت الخطبة التي تخلو من بعض آي القرآن تعرفُ

بالشوهاء"[1].

وإذا تحوَّلنا إلى عصر بني أمية وجدنا الخطابة بجميع ضروبها من سياسية وحفلية ودينية وحربية تزدهر ازدهاراً عظيماً، وقد أسهمت عوامل كثيرة في ازدهار الخطابة في عصر بني أمية إذ كانت للعرب سلائقهم اللغوية، ولم تفسد ألسنتهم بمجاورة الأمم الأجنبية، والاختلاط بشعوبها، وكانوا من بلاغة المنطق، وحسن البيان، وجودة الإفصاح والإفهام بحيث يستطيع متكلّمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع، فضلاً عن التعصب القبلي الذي دأب الإسلام على إغراقه، وإخماد جذوته فإنّه عاد يستعرُويشتدُّ أوارُهُ من جديد في عصر بني أمية الذي اتسم بالعصبية عصبية للعرب عامة ضدّ الأعاجم والموالي، وعصبية لليمنية على القيسية، وعصبية بني أمية على بني هاشم، وعصبية القبائل الموالية لهم على المناوئة كعصبية كلب وتغلب على قيس[2].

وما إن تسقط دولة بني أمية سنة 132هـ وتقوم على أعقابها دولة بني العباس حتّى تشتدُّ الفتن، ويحتدمُ الصراع بين هذه الأحزاب ــ من علويين، وأمويين، وخوارج ــ وأصحاب السلطة من بني العباس الذين سعوا إلى قمع هذه الأحزاب بكلِّ ما أوتوا من قوة وبطش[3].

وكان لا بدّ للخطابة ــ في العصر العباسي الأول ــ التي ظلت محتفظة بمقوّمات بقائها ونموِّها ونشاطها أن تزدهر، فهذا العصر هو امتداد للعصر الذي سبقه من حيث بناء الخطبة وشدّة إحكامها، فضلاً عن كثرة النصوص التي وصلت إلينا عن هذا العصر، وكثرة الخطباء المصاقع المفوهين الذين شهروا بالفصاحة والبلاغة، وإجادة القول، وحضور البديهة، والقدرة على الارتجال.

وما إن ينتهي العصر العباسي الأول حتى يدبّ الضعف والاختلال في بعض ضروب الخطابة بسبب ما

تعرّضت له من الإهمال، وارتفاع منزلة الشعر الذي أخذ يتنامى دوره ليحلّ محل الخطابة[1].

أما الخطابة الدينية فقد ظلّت مزدهرة طوال هذا العصر؛ لما لها من أثر كبير في حياة المسلمين فمن خلالها يستطيع الخطباء أن يوجِّهوا الناس إلى تقوى الله وحبّه وطاعته وخشيته، والترغيب في الآخرة، والتزهيد في الدنيا.

أنواع الخطابة العربية وأغراضها عند الخطيب:

إنَّ ما وصل إلينا من خطب الشيخ عبدالكريم يحيى قليلة لا تكاد تبل الريق، ومهما يكن من أمرٍ فإن ما وصل إلينا من خطب هذا الخطيب قلّة قليلة لا تتعدّى أن تكون خطباً دينية، وقسماً منها خطباً اجتماعية، إلاّ أن الخطابة الدينية لها النصيب الأوفر من الرقي والازدهار، لحاجة الناس إليها، ولما تضمّنته من مواعظ تذكر بالتقوى والعمل الصالح، والتخويف من وحشة القبر، وأهوال القيامة. وأول ما نبدأ به من ضروب الخطابة لدى الشاعر:

أولاً-الخطابة الدينية:

الخطابة الدينية "تلك التي شرع الإسلام لها وقتاً معلوماً في يوم الجمعة والعيدين، وفرض الاستماع لها، وكانت الأداة المعبّرة في المناسبات الدينية، وفي كلِّ أمرٍ جامع، والمشتملة على المواعظ الوازعة، والذكرى النافعة، المنبّهة للساهي الغافل، الموقظة للاهي الذاهل، العائدة بترقيق القلوب، وكشف ما غشيها من زين الاغترار، والإخلاد إلى هذه الدار، والحضّ على الاستعداد لمنزلة القرار"[2].

ومن خلالها يستطيع الخطباء أن يوجِّهوا الناس إلى تقوى الله وحبّه وطاعته وخشيته، بما يغمر قلوبهم ومشاعرهم؛ لأنها صادرة عن قلوبٍ مفعمة بالصدق والإخلاص،"والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين؛ لأنَّ الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي

يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته؛ لئلاّ تُدرس قلوبهم آثار ما أنزل الله، عزّوجل، من ذلك في كتابه"[1].

ومن محاسن الخطب ما جاء في خطبة الشيخ عبدالكريم يحي قوله:

"ابن آدم أفق لانقضاء مدّتك، فما بقي إلاّ القليل، وأرقِ عليها دماء مقلتك، فإنّ الدموع لا تشفي الغليل، وابقَ ما بقيَ من يعينك على الأسف فيما سلف والحزن الطويل، وحقّق في نفسك وطويّتك إنّك في الدنيا كعابر سبيل، واشفق على نفسك من حلول منيتك، وما تأهب إلاّ تزوّدت للرحيل، وألصق خدّك بالتراب لأجل خطيئتك كما يفعل الخاضع الذليل، وأخلق بك باكياً على بليّتك، ومن أحقّ منك بالبكاء والعويل، وثق بأنّك إن صدقت الله في سريرتك أعانك الله وأغاثك بكرمه الجزيل، فمزّق أثواب لهوك وغفلتك رداء عفوه الجميل، وصدّق بعقوبتك ومثوبتك لتقف مع التحريم والتحليل، وحدّق بعين قلبك وبصيرتك لتعتبر بمن عبر من الأمم جيلاً بعد جيل، أما أدرك الموت من سلف قبلك من القرون؟...".

في هذا النص يحذر الخطيب من الدنيا وزخرفها ومتعها، ويهوّن من شأنها ويحقر من أمرها، وأولى بالمسلم أن يتبّع الحق ويعيش لأجله، ويتمسّك بالتقوى، والعمل الصالح، وأن يتنبّه إلى أن الدنيا فانية لا خلود فيها، وأنّ أيامه فيها محدودة، و أنفاسه فيها معدودة، ومن بعدها الموت الذي ينتظره، ولن ينفعه شيءٌ إلاّ ما قدّمت يداه.

ثانياً – الخطابة الاجتماعية (الحفلية):

يراد بالخطابة الاجتماعية "الخطب التي تلقى في المواسم الكبار والمحافل العظام، وفي مجالس الخلفاء والملوك والأمراء، وفي الأندية العامة والخاصة؛ لغرض من الأغراض التي تتعلّق بالحياة الاجتماعية"[2].

وإذا كانت هذه الخطب تعبّر عن الظواهر الاجتماعية وما يتعلّق بأحوال المجتمع فإنّها لا تقتصر على موضوعٍ واحد، فقد تعددت مضامينها، وتنوّعت أغراضها؛ تبعاً للظروف والمناسبات الداعية إليها، ومن هذه المضامين التي تناولتها:

(1) خطبة النكاح (الصداق):

لم تكن هذه الخطب من مستحدثات الشيخ عبدالكريم يحي، فقد عرفها العرب منذ عصر الجاهلية، والفكرة العامة في هذه الخطب هي إقناع ذوي الفتاة بمن يرغب في الإصهار إليهم[1]، ومهمة الخطيب في هذه الخطب هو أبرازمز ايا الخاطب وفضله، لهذا صارت خطبة النكاح بحاجةٍ إلى تفصيل وإطناب، إذ ليس أمام الخطيب إلاّ أن يفصّل في فضائل الخاطب وصفاته الخُلقية، وأصبح من سننها أن يطيل الخاطب في خطبته، ويقصّر المخطوب إليه في إجابته، قال الأصمعي "كانوا يستحبّون من الخاطب إلى الرجل حرمته الإطالة، لتدلّ على الرغبة، ومن المخطوب إليه الإيجاز، ليدلّ على الإجابة"[2].

ومن جيد الخطب خطبة صداق ٍللخطيب عبدالكريم يحي، أكد فيها أهمية الزواج ودوره في تقريب الأباعد، و اتصال النسب، وبقاء النسل، يقول: "*اقتربت به الأباعد، واتصلت به الأنساب، اتصال العضد بالساعد، وأحيى الله به الأمم، وقد قضى حينهم، وجَمَعَ به بين متفرّقين (لو أَلَّفْتَ ما في الأرض جميعاً ما أَلّفتَ بين قلوبِهم ولكنّ اللهَ أَلّفَ بينهم*"[3].

لقد أكد الخطيب في هذا النص أهمية الزواج، لأن الزواج سنة كشف عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله "*النكاح سنّتي ومن رغب عن سنّتي فليس منّي*". كما إنه صيانة للمسلم والمسلمة من الوقوع في مصائد الشيطان، ومزالق الهوى، وقد استعان بالآية الكريمة في الحث على الزواج، والترغيب فيه.

(2) خُطبُ الأندية والمواسم:

من عادة هذه الخطب أن تلقى في المحافل والأندية؛ لضرورة يتطلبها موقف ما، ومن جيد خطب الموسم خطبة الشيخ غبدالكريم يحي وقد خطبها بمكة في موسم الحج، ومما جاء فيها: "*أيها الناس إنّ الله أصدق قائل، وأوثق كفيل، يدلكم إلى خير سبيل، وذلكم في محكم التنزيل على لسان الحبيب والخليل، فقال تبارك وتعالى:" وَإِذْ*

بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً"* ، الحج: 26،*فاشكروا نعمة الله عليكم، وإحسانه العميم إليكم، وما منحكم به من حجّ بيته الحرام، وأداء مناسكه العظام، وزيارة نبيّه محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم - وابشروا بغفران الذنوب، ومحو السيئات"*[1].

إنّ من يتأمل هذا النص يجده لا يتضمّن وعظاً بالعزوف عن الدنيا، ولا تذكيراً بالموت، أو تخويفاً من وحشة القبر، و إنما ركّز الخطيب على فريضة حجّ بيت الله الحرام، وإنّ الله قد تكفّل لهذا البيت بأن يؤمّه من يشاء من عباده المسلمين، لأداء مناسك الحج، ثم طلب من معشر الحجاج أن يشكروا هذه النعمة التي أفاء الله بها عليهم وقد أتاح لهم أداء فريضة الحج لبيته الحرام، وزيارة قبر نبيّه المصطفى، صلّى الله عليه وآله وسلّم، و أنهى الخطيب خطبته بأن بعث في نفوسهم بريقاً من أمل حين بشرهم بغفران الذنوب، ومحو السيئات.

ومن كُلِّ ما تقدّم نجد أنَّ الخطابة في خطب الشيخ عبدالكريم يحيى، جاءت لتعبّر عن ظواهر دينية واجتماعية، لذا تعددت الموضوعات التي تناولتها .

الدراسة الفنية:

تطرّقنا سابقاً إلى ضروب الخطابة، وما اشتملت عليه من أغراضٍ ومضامين، وكان لا بدّ لنا هنا أن نتعرّف أهمّ الخصائص والسمات التي امتازت بها خطب الشيخ عبدالكريم يحيى، وكان من بين هذه الخصائص والسمات:

أوّلاً- بناء الخطبة:

لا تختلف الخطبة في هذا العصر عن الخطبة في العصور التي سبقت هذا العصر من حيث طبيعة بنائها، وشدّة إحكامها، وكان من بين الأمور البنائية التي تتعلق بالخطبة:

(1) المقدمة:

إنّ ما يتعلق بأجزاء الخطبة هو عناية الخطيب بالمقدمة التي يفتتح بها كلامه، وغايته في ذلك أن يمهّد لأفكاره، ويستثير انتباه السامعين فينقلهم من موقفٍ لآخر، "لأنّ الغرض منها تنبيه السامعين إلى موضوع الخطبة، وترغيبهم في الاستماع، وإعداد أذهانهم للاقتناع، واستجلاب خواطرهم، وتأليف قلوبهم حول الخطيب، وما يريد منهم"[1].

وقد جرت العادة "أن تفتتح الخطبة بالتحميد والتمجيد، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال فإنّ ذلك مما يزيّن الخطب عند مستمعيها، وتعظم به الفائدة فيها"[2].

إنَّ استهلال الخطب بعبارات التحميد والتمجيد تقليدٌ ورثه الخطباء عن الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّموألزموا أنفسهم به، حتى صار من "أوصاف الخطابة أن تفتح الخطبة بالتحميد والتمجيد.... فإنّ ذلك مما يزين الخُطب عند مستمعيها، وتعظم به الفائدة فيها؛ ولذلك يُسمُّون كلَّ خطبةٍ لا يذكر الله أولها البتراء"[3]، وإذا تأملنا المقدمات نجدها تتشابه كثيراً فيما بينها من حيث استهلال الخطب بعبارات التحميد والتمجيد، وقد أثر عن النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم "كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يفتح بذكر الله .عزّوجل .فهو أبتر، أو قال: أقطع"[4]، ومن جيد المقدمات مقدمة الشيخ عبدالكريم يحي في خطبة الجمعة: "*الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فيا إخوة الإسلام، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السروالعلانية، واجعلوا الله قبلة لكم في كل أمر من أموردنياكم وآخرتكم....*"

ويبدو بوضوح أن المقدمة تليق بالمعنى الوارد بعدها، وقد أردف الخطيب الحمدلة بالشهادة والصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو مما يشوّق الحضور، ويحملهم على الإصغاء.

2

(2) حسن التخلص:

وإذا فرغ الخطيب من المقدمة دخل إلى موضـوعه، وهو الغرض الرئيس الذي من أجله ألف الخطيب خطبته "وأن يكون من الوضوح بحيث لا يفوت السامعين مزية الفهم والتتبع، ولا يسئمهم بالتعقيد والغموض، وأن يكون مؤدّياً إلى النتيجة المطلوبة"[1].

وأكثر خطباء هذا العصـر يحفلون بالانتقال، وهو ما يطلق عليه بحسـن التخلص، فالخطيب ينزع من المقدمة إلى بسـط الموضـوع، مع مراعاة ما يتناسـب بينهما؛ لأنّ السـامع حينئذٍ يكون مترقباً للانتقال من براعة الاسـتهلال إلى الغرض الرئيس بما يحرّك من نشـاطه، ويعينه على الإصـغاء؛ وغالباً ما يتلو عبارات التحميد والتمجيد عبارة (أما بعد) ويؤتى بها لفصـل الخطاب، وإعداد السـامعين إلى ما سـيرد بعدها مباشـرة، حيث يبتديء بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبّرة، ورسـائلهم المحرّرة، كأنهم يسـتدعون بها إلى الإصغاء[2].

ومن الخطب التي وردت فيها عبارة (أما بعد) خطبة الشـيخ عبدالكريم يحيى "*أما بعد:فيأيها الناس اتقوا الله تعالى لقد طال إعراضكم عن النبإ العظيم، تغافلا وجهلا، وكثر اشتغالكم بالحطام الفاني الأدنى، وما راقب لكم على ما يصد عن الصراط السوي والهدى، وحزنكم على ما فات من عرض الدنيا[3]...*"

وقد يأتي الخطيب بعبارة (أيها الناس) وينطق بهذه العبارة في المجامع والمحافل؛ لأنها خطاب إلى الناس كافة، ومن ذلك جاء في قوله:"*أيها الناس قصُر سعي من كانت خطاه معدودة، وخسر رأي من اتخذ هواه معبوده، وذاك ناصر من كانت الأيام جنوده، وقلّ حاصل من كانت الحطام موجودة*".

(3) الخاتمة:

والخاتمة هي "آخرُ ما يعيه السمع، ويرتسم في النفس"[1] من الخطبة، وبها يدرك الخطيب مراده، ومن أنواع الخواتيم عند الخطيب:

(أ) الاستشهاد بالقرآن:

وقد يختم الخطيب خطبته بآيٍ من القرآن الكريم علن نحو ما ختم به خطبته بقوله تعالى فقابلوا رحمكم الله هذا الحرم بالتبجيل والتعظيم، فقد قال فيه السميع العليم: "*وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِيهِ بِإلحادِ بِظُلمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم*" الحج: 25، وكذلك خاتمة خطبته: "*فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بما عاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِهِ أجراً عَظِيماً*".

(ب) الاستغفار:

وتارة يُنهي الخطيب خطبته بالاستغفار لنفسه ولصالح المؤمنين على نحو ما جاء في خاتمة خطبته: "*واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم*".

(ج) الدعاء:

وقد يختم الخطيب خطبته بالدعاء لنفسه وللحاضرين، على نحو ما جاء في خاتمة خطبته: "*جعلنا الله وإياكم ممن ينتهز الفرصة عند إمكانها، ويزجر نفسه عما تزيّنه وسوسة شيطانها*".

ثانياً. الأسلوب:

إن الأسلوب الخطابي في خطب الشيخ عبدالكريم يحيى يجمع بين السهولة والركة؛ لفساد السلائق العربية، وما اعتورها من تشوهات لسانية، فضلاً عن جريه وراء المحسنات البديعية التي بالغ في طلبها، فجاءت خطبه مثقلة بها، يغلب عليها طابع الصنعة والتكلّف، والخطيبُ المصقع ممن أوتي القدرة على التصرُّف في فنون القول هو الذي "يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيّته، غير مستكرهٍ لطبيعته، ولا متكلّفٍ ما

ليس في وسعه"[1].

ويلاحظ أن الخطيب قد يعنو بتدبيج خطبه، والتأنُّق في صياغة أسلوبه، وترتيب أفكاره؛ لأنّه أمام حشدٍ هائل، ربّما لا يسعفه الخاطر، وقد يعرض له من الحصر ما لا قدرة له في مواصلة الكلام؛ لذلك يلجئ إلى تدبيج خطبه وإعدادها إعداداً جيداً.

ومن يتأمل ما وصل إلينا من خطب هذا الخطيب فإنه لا يجد فيها من الألفاظ ما يصعبُ فهمها، أو يحوج إلى تفسيرها، فضلاً عن ابتعادها عن الغريب الذي لا يتكرّر في كلام العرب، وإن ورد كلامه ورد مستهجناً[2].

ثالثاً - الموسيقى:

إنَّ من وسائل الصياغة والبناء الفني للخطبة عناية الخطيب بموسيقى عباراته للتأثير على مستمعيه، وجلب انتباههم، وما يحدثه الوقع والرنين من حركة انفجارية تغور في أعماق الفكر، لتحدث في النفس هذا التأثير القوي المتسق.

وتظهرُ عناية الخطيب بأسلوبه، وتأنِّيه في إقامة موسيقى عباراته من خلال اختيار الألفاظ وتجانسها فيما بينها تجانساً صوتياً يكسبُها دفقاً إيقاعياً[3]، ومن هنا فإنّ اختيار اللفظ وتنسيقه واستعماله بما يتلاءم مع غيره في السياق الذي وضع فيه له خاصيّة فنيّة، لأن "القيمة الذاتية للفظ تكتسبُ أهمّيتها من خلال اتساقها وتلاؤمها مع سائر الألفاظ فتكسبُ الكلام نغماً تهشُّ له النفوس"[4]، لهذا شغفَ العرب بموسيقى الألفاظ وجمال وقعها "وما الإعلال والإبدال والإدغام، وعدم جواز الابتداء بالساكن إلاّ مظهرٌ من مظاهر اهتمام العرب المفرط بجعل الكلمة وحدة منسجمة تخفُّ على اللسان، ويعذبُ وقعها في السمع، وكما شغفوا بموسيقى اللفظة واجتهدوا في تخليصها مما يفقدها التلاؤم أو التكافؤ بين حروفها وحركاتها كذلك حرصوا على موسيقى

العبارات"[1].

ومن يتأمل خطب الشيخ عبدالكريم يحيى يجد أن أكثرها يتوافرلها ضروبٌ من القيم الصوتية المتناغمة التي تزيد النصّ موسيقى وجمالاً، منها:

1) السجع:

مظهر من مظاهر الزخرفة اللفظية التي عنى بها الخطيب في خطبه، ويرادُ به "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثورعلى حرفٍ واحد"[2]، والسجع يضفي على النص الذي يرد فيه قيمة موسيقية؛ بوصفه نوعاً من التنغيم، فهو يقوم أصلاً على تماثل إيقاعي في نهاية المقاطع، وتكرارها على نحو منتظم، ذلك إنّ المقاطع "تأتي على ألفاظٍ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازية متماثلة"[3].

ويحبّذو الخطيب السجع ويؤثره في خطبه، ويأتي به تكلّفاً، ونزوع الخطباء إلى هذا الإيقاع المتناغم؛ لأنه سمة السجع الغالبة على نتاجهم الأدبي، وجوهره الفني الذي إليه النفوس أميل، والآذان لسماعه أنشط، ومن ذلك قول الشيخ عبدالكريم يحيى من خطبة له "*فيا أيها الغافل عسى أن يكون قد اقترب أجلك، وقد أوهمك بعده أملك حتّى سوّد الصحائف عملك، كأنّك والله بأجلك قد حلّ، وبأملك قد ودّع فاستقلّ...*[4]

فهذه العبارات جميعها تنتهي بفواصل موحدّة، وهي عذبة سائغة تنسجم مع الطبع والذوق، وقد بناها الخطيب على السجع الذي يلذ الآذان حين تصغي إليه؛ لسهولته وخفّته وبراعته في صوغه حتّى لتتولى الخطبة مسجوعة على روي واحد، وقد أضفت جمالاً موسيقياً على النص لما فيها من حسن الإيقاع، وجمال الاتساق، وعذوبة الجرس.

فهذا السجع المتوالي الذي يبرزفي هذه الفقرينتهي بفواصل موحدة، وإن بدت ظاهرة التكلف؛ فإننا لا نجدُ أثراً فيها لتكلُّفٍ ممجوج، أو ثقلٍ ظاهر؛ لأنّ الخطيب عرف كيف يستثمرهذا الفن بحسِّه المرهف، وذوقه الفنّي.

2) الجناس:

الجناس أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهدٍ مبكر، له دورمهم في إضفاء الإيقاع بنوعيه في السياق التركيبي، والجناس في أيسرتعاريفه هو"مجيء حروف ألفاظه من جنسٍ واحد، ومادة واحدة، ولا يشترط تماثل جميع الحرف بل يكفي في التماثل ما تقرب به المجانسة"[1].

ومن النصوص التي جاءت حافلة بالجناس قول الشيخ عبدالكريم يحيى من خطبةٍ له:"*يا جبريلُ، أكحل بالنوم أجفان من جفانا، فإنا لا نرضى لهوانا من رضي لنفسه هوانا، ولا يفوزبلقانا إلاّ من صرف وجهه تلقانا، فمن كان بالحبّة عَنانا أطلق في ميدان المحبّة عِنانا... ما ضرّه من فرّقه الشوق ألوانا، إذا ما حشرتحت لوانا، ولا ضلَّ من فتنة الوجد أفنانا، إذا ما انتهى إلى فنانا*".

لقد جانس الخطيب بين (ألوانا) التي هي بمعنى اللون، و(لوانا) التي هي بمعنى الراية، وهو من الجناس الناقص، كما جانس (أفنانا) التي جاءت بمعنى ألواناً وضروباً، و(فنانا) التي هي بمعنى الساحة.

فهذا الجناس الذي اكتنف النصّ وأخذ بمجامعه يزيدهُ موسيقى و إيقاعاً صوتياً متردّداً بين إيحاءات المعنيين مع ما يحدثه حرف النون المتكررمن نغمٍ إيقاعي متميّز، من حيث توافق نغمِهِ، و انسجام جرسِهِ فتغلبُ عليه رنَّةٌ موسيقية تطربُ لها النفس.

الخاتمة:

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح لنا:

1- إن خطب الشـيخ عبدالكريم يحيى اتسـمت بالقيم الفنية والجمالية مما يؤكد ضـلعه الثقافي وتعمقه في معرفة اللغة العربية وثقافتها.

2- أنّ الخطابة العربية في هذا العصر لم تدرك حظّها المرجو من الرقيّ والازدهار على نحو ما كانت عليه في عصر صدر الإسلام، وعصر بني أمية والعصر العباسي الأول، ولم تنشط من ضروب الخطابة سوى الخطابة الدينية التي ظلت محتفظة بعناصر بقائها ونموّها ونشاطها؛ لما تضمّنته من المواعظ والتذكير كالتمسك بالتقوى، والحضّ على العمل الصالح، والتحذير من الهوى والجري وراء الملذات؛ فضلاً عن كثرة الخطباء الوعاظ الذين عرفوا بقوة البيان، وما لهم من قدرة فائقة على الإلقاء والتأثير في نفوس السامعين.

3- إن ما وصل إلينا من خطب هذا الخطيب قلّة قليلة لا تتعدّى أن تكون خطباً دينية، وقسماً منها خطباً اجتماعية، إلاّ أن الخطابة الدينية لها النصيب الأوفر من الرقي والازدهار؛ لحاجة الناس إليها، ولما تضمّنته من مواعظ تذكر بالتقوى والعمل الصالح، والتخويف من وحشة القبر، وأهوال القيامة.

4- والخطابة العربية في هذا العصر لا تختلف عن الخطابة في العصور التي سبقتها من حيث طبيعة بنائها وموضوعاتها. فقد عنى الخطيب ببناء خطبته عناية كبيرة، وقد تمّ له ذلك من خلال عنايته بصياغة أسلوبه من حيث اختيار الألفاظ ورصفها رصفاً جيداً، وتأنّيه في إقامة موسيقى جمله؛ فموسيقى الألفاظ لها القدرة على التأثير في نفوس السامعين.

الهوامش والمراجع:

1- عثمان عبد الله يحي، منحة الوهاب في حياة الشيخ عبد الكريم، مخطوط، ص 3.

2- أبوبكر محمد عثمان (الدكتور)، نخبة من العلماء العرب في غمبورو إنقالا و آثارهم العلمية ما بين 1960-1991م، (د. ت.)،ص: 30

3- دنامة محمد إبراهيم، الشعر العربي في منطقة إنقالا دراسة أدبية تحليلية،بحث مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة ولاية نصراوا، كيفي، 2012م، ص 20

4- أبوبكر محمد عثمان (الدكتور)، نخبة من العلماء العرب في غمبورو إنقالا و آثارهم العلمية، مرجع سابق.

5- دنامة محمد إبراهيم، الشعر العربي في منطقة إنقالا دراسة أدبية تحليلية، مرجع سابق، ص: 34

6- ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، مرجع سابق، 215/10، مادة طرق، ص: 23

7- آدم عمر محمد، دور خطب الشيخ إبراهيم صالح الحسيني في نشر العربية والإسلامية، مخطوط، ص: 56

8- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المطبعة البهية المصرية بلا تاريخ. ص:69

9- ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، مرجع سابق، مادة طرق، ص: 2

10- عبد البستاني، معجم لغوي مطول جزءان، مكتبة لندن 1992 ص: 185

11- ابن فارس، أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م ص: 149

12- سالم عطية محمد، أصول الخطابة والانشاء – المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى 1988م.

13- عبدالكافي عثمان البشير، مجموعة من خطب صلاة الجمعة، للشيخ عثمان البشير، مخطوط. ص: 32

14- أبو عراد صاع بن على الدكتور، والدكتور، جمعة على ابن نائف السعود، الجامع في الرسائل د. ت. د. ط.

15- كلتوم دنقس حسن، دراسة تحليلية أدبية لنماذج من خطب الشيخ عثمان البشير غمبورو-إنقالا، مرجع سابق، ص:113

16- الهاشمى أحمد، جواهر الأدب، ج/ 1دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2007م، ص: 126

17- القلقشندى أحمد علي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء الناشر دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 1987م، تحقيق الدكتوريوسف علي طويل، ص: 124

18- سالم عطية محمد (الشيخ)،أصول الخطابة والإنشاء المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م ص: 125

19- خفاجى، عبد المنعم (الدكتور) الشعر الجاهلى دار الكتاب اللبنان بيروت ط/ 3 - 1980م، ص: 89

20- أحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، داردمشق الطبعة الأولى، 1987، تحقيق: د. يوسف علي طويل ص: 479/1

21- المرجع السابق، ص: 412

22- سالم عطية محمد، أصول الخطابة والانشاء – المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى 1988م.

23- نفس المرجع، نفس الصفحة

24- بيت الله بيات، الشيخ، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، دون تاريخ، ص: 460

25- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة : الأولى، 1417هـ 1996م، ص: 265

26- بيت الله بيات، الشيخ، معجم الفروق اللغوية، مرجع سابق، ص:540

27- الدكتورمحمد طاهر درويش،الخطابة في عصر صدر الإسلام: دار الجيل، مصر، (د. ت)، ص: 59

28- أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهبالكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. بغداد، 1387هـ / 1967م، ص: 432

29- لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي،نقد النثر، تحقيق: د. طه حسين، وعبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت 1402هـ/ 1982م، ص: 125

30- أحمد محمد شاكر، مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار المعارف، القاهرة 1365هـ/ 1946م، 212

31- الخطابة في عصر صدر الإسلام: 26/1.

32- أبي بكر جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، القاهرة، 1383هـ/ 1964م، ص: 25

33- أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص: 98

34- أبي المعالي جمال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، 1400هـ/ 1980م، ص: 231

35- أبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي، نقد النثر، تحقيق: د. طه حسين، وعبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت 1402هـ/ 1982م، ص: 105

36- الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1378هـ/ 1959م، ص: 213

37- الدكتور ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد 1980م، ص: 177

38- أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة 1972م، ص: 12

39- أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: د. أحمد محمد الحوفي، د. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1379هـ/ 1959م، ص: 102

40- أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مرجع سابق، ص: 231

41- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، جنان الجناس في علم البديع، تحقيق: سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/ 1987م، ص: 89

42- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المرجع السابق، ص: 26

عبرات الأمل؛ نموذج فني للسيرة الذاتية بنيجيريا.

الدكتور أيوب إسحاق (ببأوي)

مؤظف مجلس الخدمة التعليمية لولاية كوارا، إلورن،

ورئيس هيئة الأدب الإسلامي، إلورن، نيجيريا.

ملخص المقالة:

اعتنى الأدباء المعاصرون بنيجيريا بالقصة الفنية ضمن ما اعتنوا به من الأجناس الأدبية، وكان للسيرة الذاتية نصيبه الو افر في ذالك، حيث استطاع الكُتاب أن يصوروا تجاربهم المتنوعة التي مروا بها في فترة معينة من العمر مع ما لابس ذلك من الظروف البيئية والثقافية والاجتماعية، كل ذلك في قالب فني ممتع.

ولا يخفى أن قصة "عبرات الأمل" للكاتب عبد العزيز الياقوتي تمثّل ذلك الاتجاه الأدبي مع ما تميّز به هذا العمل من سيمائية التصميم، وبناء محكم، و روعة الوصف، والتعاطف بين القاص والمتلقي، وتجربة الصدق الفني، وتفعيل الشخصيات، والطو ابع المحلية الظاهرة على سياق القصة والسرد مما يتعرض له الكاتب في هذه السطور.مقدمة

Abstract:

The contemporary writers in Nigeria are dedicated to fictions just as they are to other literary genres, including biographies which also have their own share of dedication in their literary works. Thus the Nigerian writers are able to portray the numerous experiences they encounter in different stages of their life together with the environmental, cultural and social circumstances they pass through, all of which they capture in sapid artistic works. It is not hidden that the novel titled "Tears of Hope" by the writer Abdul Azeez Al-yakuty represents the same literary approach as the work is distinguished with the cinematic design, exquisite structure, splendid portrayal, the ,shared empathy by both narrator and the receiver, experiencing the artistic fealty activation of the characters and the explicit native peculiarities displayed in the course of narration; all of which the writer will address in

the following line

مقدمة

تطبّع الأدب على التنوع في الألوان والأشكال والأجناس تنوّع الحياة و أنماطها وأهدافها وأشخاصها، و أبعاد شخصياتها النفسية والمعنوية والروحية والاجتماعية والجسمية واللغوية.

فالقصة جنس من هذه الأجناس الأديبة التي تصور الحياة وتدرس شخصيات على اختلاف نماذجهم في الأمزجة النفسية، والمراكز الاجتماعية، والمكانة العلمية فهي إما أن تكون لوصف الأحداث السياسية والدينية والأدبية والتربوية والاقتصادية والأسرية أو لتصوير رحلة تختلج مشاعرها السارة أو المريرة في نفس القاصّ أو لتصوير جانب من الحياة الذاتية تصويرا رمزيا,

وإلى هذا الصنف الأخير من القصه ينتمي هذا العمل الأدبي الذي كنا في صدد عرضه على النمط التالي:-

5- جولة في فن السيرة الذاتية

6- مع الكاتب

7- مميزات فنية في "عبرات الأمل"

8- الخاتمة

جولة في فن السيرة الذاتية

السيرة الذاتية من ألوان القصة تعني بتصوير جانب من الحياة الذاتية المتمثلة في التجارب الشخصية والشعور الفردي الذي مر به الأديب وأحسه إحساسا يعرضها الكتاب بصدق بالغ وأمانة متناهية.

ومن ملامح هذا الفن القصصي ترتيب محكم، وخلق التعاطف بين القاص والمتلقي، والتجرد للصدق والأمانة والصراحة مع وجود دافع معين للقيام به.١

أعتنى أدباء العربية المعاصرون بهذا النّوع من الأدب على المستويين الإقليمي والعالمي وحيث سجل لنا تاريخ الأدب الحديث نجاح طه حسين في الميدان بكتابة "الأيام" وعباس محمود العقاد بكتابة "أنا" وأحمد أمين بكتابه "الحياة" ومخائيل نعيمة صاحبة "سبعون" وعبد القادر المازني صاحب كتاب "قصة حياة".٢

وكان من رواد هذا الفن في نيجيريا الشيخ إبراهيم سلمان أكي صاحب "ذكريات في الأزهر" والأستاذ الدكتور أول أبوبكر صاحب "مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي"، ومنبعد كتابيهما "السنة" و"رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي، و"على الطريق"لآدم يحيى عبدالرحمن الفلاني، و "خادم الوطن" لحامد

محمودإبراهيم الهجري، و"الرحلة" لعلي عبد القادر العسلي،٣ و"في سبيل المجد" لمرتضى الإمام أكوحييدي،و"أرض الهناء" لمحمدالناصر محمد الأول كوتجيفو القوافي، ثم هذا الكاتب النشط العبقري الأخ عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي في كتابه "عبرات الأمل". ومن بعده عبد العزيز عبد الكريم برهان الدين صاحب كتاب "جميلة"٤.

مع الكاتب الياقوتي ٥

هو السيد عبدالعزيز بن محمد بن سلمان بن عبد الله الياقوتي الإلوري، ولد بإلورن في سبعينيات القرن العشرين الميلادي، نشأ في كفالة أبويه، وتلقى القرآن الكريم في كتاب الشيخ محمد الثاني أكنبي أولوسن، إلورن.

درس السيد الياقوتي في مدرسة الابتدائيةالحكومية، ودار السعادة للتعليم العربي والإسلامي أونكيجيبا أومدا إلورن، والتحق بمدرسة دار العلوم ونال شهادتيها الإعدادية سنة ١٩٩٧م والثانوية سنة ٢٠٠٠م بتقدير ممتاز. واصل السيد الياقوتي دراسته بكلية التربية والعلوم الإنسانية إلورن، (جامعة الحكمة حاليا) ونال بها شهادة الدبلوم في اللغة العربة والدراسات الإسلاميةسنة٢٠٠١م وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٥م بجامعة أبومي كلافي، جمهورية بنين، ثم حصل على شهادة الدبلوم العالي في التربية عام ٢٠٠٦م بكلية التربية الفدرالية- كنو، وحصل على الماجستير في اللغة العربية وآدابها٢٠١٣م في جامعة ولاية نصاراوا وهو الآن يحضر الدكتوراه بالجامعة نفسها. بدأ الياقوتي عملية التدريس مبكرا بمدرسة دار السعادة إلورن، بين سنتي ١٩٩٧-٢٠٠١م، كما عمل بكلية الإيمان لافيا، ولاية نصاراو ابين سنتي ٢٠٠٧ -٢٠١٠م وبها عين رئيسا للقسم العربي ثم منسقا لبرنامج الدبلوم، زاول السيد الصحافة بصفة مراسل غير منتظم لصوت نيجيريا القسم العربي ( )VONمنذ ٢٠١٢م وهو عضوتأسيسي فعال لهيئة الأدب الإسلامي، إلورن منذ ٢٠٠٤م، وكان داعيا مثقفا في ليالي رمضان والمناسبات الإسلامية، وهو المرشد العام لجالية مدينة إلورن في لافيا، ولاية نصاراوا منذ ٢٠٠٨م، والآن هو محاضر بقسم اللغة العربية بالجامعة الفيدرالية، لافيا، نيجيريا، كان السيد الياقوتي شاعرا مفلقا، وكاتبا بارعا يتمتع بحسن التصرف والتصريف في البحث والإبداع، ومن آية ذلك مؤلفاته اللغوية والأدبيةمنها؛

١ .عبرات الأمل ٢٠١٥م

٢. الضأن الأسود ٢٠١٩م

٣. الأميريات ٢٠٢٠م

٤. أصداء الطاؤس ٢٠٢١م

٥. الصدى،(ديوان مخطوط)

٦. وحي الخيال (ديوان مخطوط)

بالإضافة إلى المقالات الأكاديمية المنشورة.

مميزات فنية في "عبرات الأمل"

كانت قصة "عبرات الأمل" نموذجا حيا للسيرة الذاتية الفنية لما تتميز به من الأسلوب السلس والمتمثل في طر افة الألفاظ، وسلامة التراكيب، المكتنف بصوربيانية بديعة تسحر الألباب وتجذب القلوب.

يحمل الكتاب عنوان "عبرات الأمل" ليعبر عن مضمون الكتاب وهدفه المتمثل فيما عانى منه بطل القصة "نعيم" من مشكلات عميقة الجذورفي النفس وما تنطوي عليه من الشعورفي الجسم والعقل حتى أدى إلى سكب الدموع والعبرات لأثر ذلك البعيد في حياة صاحبه المستقبلية، خاصة في أمله نحو التحصيل العلمي والذي عده نعيم كل شيئ في الحياة.

والكتاب في مائة وستين صفحة وإحدى وعشرين فصلا بما فيها صفحة العناوين والمعلومات اللازمة عن الكتاب ثم الاهداء والتقديم.

1- سيمائية التصميم

ولعل الاضطر ابات النفسية في سبيل الحصول على الأمل في القصة هي التي تعلي غلاف الكتاب ألو انا معقدة متضاربة، تتعدد تعدد الخلجات النفسية داخل الكاتب.

وإلا فإن دلالات ألوان الغلاف غير متفقة فأين التحالف بين حرارة الأصفر والأحمروبين برودة الأخضر التي تصاحبها فالزهو واضح في الحرارة والهدوء لازم للبرودة، وكانت كتابة العنوان باللون الأبيض الصافي النقي دلالة لبياض العبرات الساكبة، ونصاعة الأمل الذي يسعى له الكاتب،قال تعالى: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)) آل عمران 107.

فالسواد الذي يكتنف الغلاف من كل جانب، عبارة عما يحتدق نعيم من المشكلات غير أن نصاعة البياض وسطهتفاول وبشارة.

لصور غلاف الكتاب إيحاءاتهاالواضحة، فالكتاب إشارة إلى أن أمل "نعيم" هو العلم، وأن الفارس الإلوري المشهورفي واجهة العرش الملكي تحت شاره شمال نيجيريا فدلالة على أن المنهج المفضل في الحصول على العلم المأمول لدى نعيم منهج يتطبع بالشعبية الإسلامية تحت ظل الجهاد، وليس معه أي تلاق مع الاستشر اقية لا من قريب ولا من بعيد.

2- بناء محكم: فالقصة مبينة على أسس متينة في تسلسل أحداث حياة "نعيم" فالقصة لم تحكِ لنا حياة "نعيم" كشخصية مستقلة عن الكوكب الأرضي بل جعله جزءا من كلية الكون العام بما فيه من المعادن البشرية المناظر البديعية من جبال ضخمة، وبحار متموجة، وأرض صامدة، ونجوم ساطعة ثم القمران اللذان جعلهما الله زينة ونورا وضياء، وتعداد الحساب عجلة القمرين الذي كان "نعيم" من وحداته.

بدأت القصة تصوّرلنا حالة أسرة "نعيم" التي لفظته بما لها من حرفة وصناعة وما اكتسب من جراء ذلك من مجد وعظمة يجذبان الأهالي والأجانب، وما أردف ذلك لـ"نعيم" من تفاعله مع بيئته المباشرة، بدأ برعاية عمه، وتعلم بدهليزه، والتحاقه بالمدارس على أشكالها حتى نجحت محاولته للحصول على القبول بالجامعة؛ إن ذلك لدلالة ناطقة ببناء محكم وحبك متسلسل.

3- روعة الوصف: وكان من السمات البارزة في نجاح هذه القصة روعة الوصف للأشخاص والأماكن والمناظر والمشاهد والمو اقف بكل إسهاب وإطناب يتطلبه فن القصة لحد بعيد لأن ذلك هو الفارق الجذري بين فن القصة المتحرر، وبين فن المسرحيةالمقيّد مما جعل القصة أطول ما أبدته أيدي الأدباء النيجيريين في الفن.

ومن أملح صور ذلك وصف المؤلف لشخصية نعيم٦ووصف مجالس وعظ العلامة الإلوري٧، إن شئت فاقرأ للكاتب وصفه للمدارس٨وقد تعرض الكاتب لوصف العلوم٩، والأشخاص١٠والبلدان مثل إلورن، وقال ما نصه "تلك البيئة المباركة التي لا شرقية ولا غربية وقد عظم جوها عرفانا وجلّ قدرها إيمانا، وطاب بحرها إحسانا، وساغت فيها الإقامة أمانا، وهي قد عاشت مركزا للدولة الإسلامية الزاهية، لجميع البلاد وما جاورها، ولم تزل مرتعا خصبا لشداة العلوم بكنوز الثقافة العربية الثمينة، ومنطلقا أمينا لمآثر الدراسات الإسلامية الرشيدة ، فما أحسن موقعها الجغرافي من بين عواصم الشمال توسطا وتلاحما! وما أكرم ثراء سكانها تنوعا وتعددا ! وهم جميعا على هدف سام وفريد، ويتمثل الهدف في غرس الحضارة الإسلامية المجيدة، وفيها تترفرف ألوية الإيمان دفاقاعلى عناد المعارضين المعتدين، فما مسهم من أجل تمسكهم بالشعائر الدينية من نصب، وما مسهم على بيض الإسلام من لغوب".١١

٤ -التعاطف بين القاص والمتلقي.

وقد نجح الكاتب لحد بعيد في استصحاب قر ائه، واستجواب عواطفهم،وذلك بما يملكه من ناصية السرد الممتع المكتنف بالإثارة والترقب.

وفي شأن إعداده للرحلة إلى بنين وعدمه جعل الكاتب القارئ يتابعه فيما إذا كان "نعيم" سافر فعلا أو لم يسافر بعد. وقال:" ولكن نفس "نعيم" لم يزل تقف ضد مايقول الناصح ولم ينتصح، بل نفخت فيه كراهية النصيحة، ومن شرّ خطير مكيدات النفس أن نعيم أجابها بترك القضية بين بين! حيث قال: إنه سيلتحق بالركب فيمحطته السيارة صباح الموعد، والساعة المحددة السادسة مع الإقرار أنه إن تأخر أحد عن الموعد بلحظة، فلهم أن يواصلوا السير إلى الأمام قدما، وعلى الدنيا السلام".٢١

وكان الحوار الفني الشيق من وسائل الكاتب في خلق التعاطف بينه وبين المتلقي فاسمعه في الحوار مع نعيم وأمه.

"هذا مصحفي كتبه لي عمي البربخطه اليدوي لمناسبة نكاحي وقد فعل ذلك للسيدات قبلي!

تعنين –يا والدة- أن القرآن الذي تلازميه وردا أكبر منا عمرا نحن الأبناء!؟

نعم، ليس هذافقط، فأي شيئ آخر يا والدة الفاضلة؟.

تريد أن تعرف؟

أجل، يا والدة،

فالقدر المحلي الذي كنت تصنع عليه ما شئت هو -أيضا- من أثاث زواجي!

إذن أسمي القدر أنتي أبي بردا ؟٣١

ولعل أسلوب الكاتب الساحر والمتمثل في حسن التصرف بين أنماط البيان وفنون القول من تشبيه واستعارة وكناية هو السبب في نجاح أدائه الفني.

٥.محاولة الصدق والأمانة

وأما عن محاولة الصدق والصراحة والأمانة فإن الكاتب نجح في ذلك حيث لم يستنكف عن تصوير خلجات نفسه تجاه الموقف خاصة، فقد أحسن الكاتب في وصف حالاته السيكولوجية وصرح بمشاعره وعواطفه فانظر كيف صرّح بما اعتراه من الوهم النفسي عندما أدرك احمرار اليد من الدنيا من جراء مسح الرأس لوضوء صلاة الصبح فكدر ذلك نفسيته واسودت الدنيا في وجهه لكنه قال:

" "في آخر المطاف بعد أسابيع، اكتشف بنورالله وهدايته أن اللون الأحمر الذي كان يتبدى على صفحات يديه إثر مسح هامته عند الوضوء لصلاة الصبح ليس من جراء سحر ساحر أو أثر نفاثات في عقد أو بطش عين أو ربط كاهن ولكنه لون من وسادته التي تذوب بحمرة كلما توسدبها.

ومتى بلل نعيم يديه للوضوء ماسحا الرأس"!٤١

انظر كيف وجد الكاتب سبيلا إلى الصراحة عن خيبة وهمه الذي استحوذ على نفسه وكاد أن تنزلق به قدمه في علاج ذلك والسعي للتخلص منه،فأكرم بهذه الأمانة وهذا الصدق الذي تحلى به الكاتب الأمين.

٦.شخصيات القصة:كان "نعيم"أبرزشخصيات القصة،ووالداه، والإلوري، والمعلم الأول أينلا، ووحيد شيخ الكتّاب، ورفيقه إلى العابدة، والعابدة في أديوولى، وزملاء نعيم، وأحد سادة الحارة، وإمام قائد الدعاء، وببأويى الصغير، (هدهد الخير) ورفقاؤه إلى بنين.٥١

فقد أعطى الكاتب كل واحد من هذه الشخصيات نصيبه من الوصف حسب دوره في القصة.

٧. الطابع المحلي: ولا يخفى ما للطابع المحلي من أثر في عبرات الأمل كما توجد في كلمات ١- أَنتي بردا٦١(الأخ والأخت) 2- تو١٥ (بلى) 3- أودا باليفي٧١٠(لا بأس). ذلك إلى جانب الأمثال اليورباوية المعربة في ثنايا القصة من أمثال "السلحفات تخرج بالصعوبة كل كلها"٨١ وقوله: "سيقطع الخنزير أبعد شوط على كثرة تنحنح منه"،٩١ "فمن يمتص شهد فلا ينظر إلى حدة فئوس"٢٠ دلالة من الأمثال إلى وعرة المسلك تجاهالنجاح، حيث استطاع الكاتب أن يطوّع هذه الأمثال تطويعا، و اندمجت مع مثيلتها العربية في أداء بلاغة الاستعارة التمثيلية الفنية في القصة.

٨. العقدة: تتمثل عقدة القصة الفنية في ثلاثةمو اقف مهمة؛

أ- عقدة ترك بيع المسواك.

ب- عقدة نجاح حفلة التخرج التوجهية.

ت- عقدة محاولة القبول بجامعة أبومي كلافي جمهورية بنين.

الخاتمة

اتضح من خلال السطور السابقة مدى نموذجية قصة عبرات الأمل للسيرة الذاتية بملامحها القصصية، و روائعها الفنية، المتمثلة في حسن اختيار الألفاظ، وبديع التراكيب، وجودة السبك، ونصاعة التصوير، وتلاحم الأجزاء ليدلّ ذلك كله على مدى استطاعة الكاتب على امتلاك ناصية السرد الممتع.

الهوامش

١- أحمد يونس، "السيرة الذاتية في الأدب العربي النيجيري: عرض ودراسة للنصوص المختارة"، بحث مقدّم إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغي لنيل درجة الماجيستيرفي اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٥م، ص ٧٨-٨٣

٢- المرجع نفسه، ص ٣٩

٣- الدكتور مشهود محمود محمدجمبا، أثر الإسلام والأدبالعربي في الأدب النيجيري المكتوب، ط١ ٢٠١٥م١٤٣٦هـ، مؤسسة المختارللنشروالتوزيع، القاهرة، ص ٧٥-٦٧

٤- جامع سعد الله عبد الكريم أسليجو، "دراسة مختارات من السيرالذاتية العربية في إمارة إلورن نيجيريا"، رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة إلورن نيجيريا للحصول على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي العربي، ٢٠١٩م، ص ٦٧-٧٧

٥- عمر محمد الأول "وقفات مع الكاتب"عبرات الأمل لعبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، ط ١ ٢٠١٥م، شركة المضيف للطباعة والنشر، إلورن، نيجيريا، ص ١٥٣ وما بعدها.

٦- عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، عبرات الأمل، ص ٨

٧- المرجع نفسه، ص ٢١-٢٣

٨- المرجع نفسه، ص ٢٦ و٦٧ و٨٥

٩- المرجع نفسه، ص ٢٦

٠١- المرجع نفسه، ص ١٣٣

١١- المرجع نفسه، ص ١١٥-١١٦

٢١- المرجع نفسه، ص ٧٤

٣١- المرجع نفسه، ص ١٦

٤١- المرجع نفسه، ص ٦٥

٥١- المرجع نفسه، ص ١٦

٦١- المرجع نفسه، ص ٦٢

٧١- المرجع نفسه، ص٧٩

٨١- المرجع نفسه، ص ٣٤

٩١- المرجع نفسه والصفحة نفسها

٠٢- المرجع نفسه، ص ١٠٨

توظيفُ اللّسانيات التطبيقيّة في تعليم العربية للناطقين بها وللناطقين بغيرها

غزالي محمد

جامعة أحمد زبانة غليزان الجزائر

كلية الآداب واللغات

Abstract:

This research aims to shed light on how applied linguistics invested in the teaching of the Arabic language, and the study will focus on the phonological, semantic and lexical levels, and will explain how to use what has found in linguistics in the teaching of the above-mentioned levels. The study will present a set of suggestions that contribute to the development of the educational process for the Arabic language.

Key words: Applied linguistics, Computational Linguistics, Learning, Levels of linguistic analysis

ملخص البحث:

يهدِفُ هذا البحثُ إلى تسليط الضّوء على كيفية استثمارِ اللِّسانيات التطبيقيَّة في تعليم اللغة العربية، وستركّز الدراسةُ على المستوى الصَّوتي والدِّلالي والمستوى المعجمي، وبيان كيفيةِ توظيف ما جدّ في علم اللسانيات في تعليم المستويات المذكورة آنفًا، وستُقدِّم الدّراسة مجموعةً من الاقتراحات التي تُسهم في تطويرِ العملية التعليمية للّغة العربية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التطبيقية، علم اللغة الحاسوبي، التعليم، مستويات التحليل اللغوي.

مقدمة:

يشهد العالم الذي نعيشه ثورةً مصطلحيّةً في المجالات العلمية كافةً أدّت هذه الثورة إلى توليد علومٍ جديدة لها منظوماتها المصطلحية المستقلة، ولم تخرجْ علومُ اللّغة عن هذه السُّنة، فاللُّغة ما هي إلا تعبيرٌ وانعكاسٌ لألسنة البشرية تُصوِّر مجتمعهم وتعكس تطورهم وتتماشى مع إبداعاتهم العلمية، ومع بداية القرن العشرين ظهرت منظومةٌ مصطلحيَّةٌ لعلمٍ استُقيت مفرداتُه من محاضراتٍ ألقاها ولم يتمَّها العالم السويسري ديسوسير(de Saussure [1]، وأهمّ ما أتى به هذا العالم هو جعل دراسة اللغة غايةً في ذاتها؛ ولهذا فرّق بين الظواهر اللغوية والظواهر الخارجة عنها، لكن ما ينبغي الإشارةُ إليه هو أنّ سوسير لم يكن مبدع الدراسات اللغوية؛ إذ إنَّ ما ورد عنده كان له إرهاصاتٌ عند الهنود الذين اشتُهر فيهم اسم العالم بانيني(Pnini) ، فلولا اطِّلاع الأوربيين على ما أنجزه الهنود في مجال اللغة لما نهض النهضة التي نراها في أيامنا[2]، كما أنَّ دراسة اللغة

شهدت تطورات مهمة في المرحلة الإسلامية العربية لا سيّما في كتابات ابن جني (ت 392 هـ) وكتابات ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ (العالمَين اللذين أولَيَا دراسة المستويات اللغوية أهميةً ظهرت في الخصائص لابن جني، وفي الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، لكنّ ديسوسير يمثل مرحلة بلورةِ الدّراسات اللُّغوية المعاصرة وتشقيق فنونها وهذا ما أتمه بلومفيلد (Bloomfield)في الغرب وحديثًا تشومسكي (Chomsky) في أمريكا.

ولكنَّ الفارق بيننا وبينهم أنّ الغرب تسلّم الر اية اللّغوية وطوّرمناهج وطرق الدراسة اللغوية بحيث صار علم اللغة يتماشى مع التطور في باقي المجالات، وما يثير الألم أنّ أرضيتنا اللغوية قادرةٌ على استيعاب ما جدّ في مجال اللسانيات، إلا أنّنا لم نُفد منها في مجالات التّطور التعليمي وبقيت اللسانيات مادةً هجينةً على طلاب علم اللغة العربية يجدونها تنظيرًا لا جدوى منه وكائنًا غريبًا دخل في جسد علوم اللغة المتعارف عليها، وكلُّ هذا يرجعُ إلى عدم استثمار ميدان علم اللسانيات التطبيقي (Applied Linguistic) في مناهجنا التعليمية، لأنّ قضية التنظير اللُّغوي قد وصلت في تر اثنا إلى درجةٍ رفيعةٍ لا تقلُّ شأنًا عن التَّنظير اللغوي في اللسانيات المعاصرة، إلا أنّ الأمر المهم هو مجال اللسانيات التطبيقيّة، لما فيها من طرقٍ ووسائل جدّت مع ما جدّ من مخترعاتٍ في العصور المتأخرة "فقد استقل هذا الفرع من الدراسات اللغوية منهجيًّا سنة 1946 عندما دُرِّس في جامعة ميتشجان، وأسِّست مدرسة علم اللغة التطبيقي (School Of Applied Linguistic) في جامعة أدنبرة سنة 1958[3]، و أبسط تعريف للسانيات التطبيقيّة أنَّها: "هو العلم القائم على دمجٍ تطبيقي لكثير من النظريات اللغوية وغير اللغوية خدمة للغة.[4]"

وسأحاول في هذه الورقات إبرازَ المجالات التي يمكن الإفادة فيها من علم اللسانيات التطبيقيّ المعاصر، وسأسعى إلى أن يكون بحثي مرتبطًا أولاً بالمكوّنات الداخليّة للُّغة العربية وسأحصر الدراسة بثلاثة مستويات هي: الصوت والدلالة والمعجم، العناصر التي إنْ أحسَنا الربط بينها وبين اللسانيات فسنزيلُ الصورة التقليدية عن هذا العلم التي تتمثل في اعتباره علمًا تنظيريًّا بل فلسفيًّا لا علاقة له بالمنطوق ولا المكتوب جانبا العملية اللغوية. و إنني أرجو أن ينسأ الله في الأجل لكتابة بحثٍ آخر أُبيّن فيه كيفية الإفادة من اللسانيات التطبيقية في المجالات الخارجة عن المكوّنات الدَّاخلية للغة، لكنّها وثيقةُ الصِّلة بها أي المجالات الاجتماعية، والنفسية، والتربويَّة...إلخ.

وبناءً على ما سبق، فإنّ الدراسة ستتوزع على ثلاثة محاور:

1-المستوى الصوتي.

2-المستوى الدلالي.

3-المستوى المعجمي.

أولاً-المستوى الصوتي :

إنَّ تراثنا اللُّغوي يفخر بما قدَّمه في علم الأصوات، وإذا كان الغربيون فُتِنوا بما قام به الهنود والصينيون من جهود في مجال علم الصوت، فإنّهم لن يتوقعوا وصول العرب إلى ما وصلوا إليه من تنظيم الأصوات وتحديد المخارج وما إلى ذلك من أمورٍ تتّصل بعلم الأصوات. فقد وجدنا العرب قد وقفوا على ظواهر لغوية وحدّدوا مصطلحاتها التي حملت مضامين المصطلحات العصرية من ذلك مثلاً مصطلح)الإدغام) الذي يقابل مصطلح)التماثل، (Assimilationالذي تحدّث عنه دانيال جونز (Daniel Jones) وقد عرَّفه بقوله: "استبدالُ صوتٍ بآخر تحت تأثيرِ صوتٍ ثالثٍ يكون مجاورًا له في الكلمةِ أو في الجملة، ويمثِّل له بكلمة (Horse-shoe) إذ إنَّ حرف Sفي أخر كلمة Horseينطق هنا sh [5]، فالمصطلح السابق نراه متقاربًا أو متّحدًا مع مصطلح الإدغام في العربية الذي بيّن العرب أنه نوعان أحدهما ينتج عن تأثر الصوت الأول في الثاني كما في)ازدهر(، حيث التقى صوتان صوتٌ مجهوروهو الزاي مع صوتٍ مهموس وهو التاء؛ إذ إن أصل الكلمة (ازتهر) فتحول التاء إلى الدال المجهورة متأثرًا بصوت الزاي، وقد وقف العلماء المسلمون على قضية النَّبركما بيَّن المسدّي عند عرضه لتعريف ابن سينا (ت 427 ه) الدَّقيق للنبر (Stress) والتنغيم(Intonation) ، تعريفًا يقارب ما توصَّلت إليه اللّسانيات المعاصرة لهذه الميزة الصوتية الغائبة في مناهج تعلمينا فينقل المسدّي قول ابن سينا عن النبر: "وربما أُعطيَت هذه النَّبَراتُ بالحدّة والثِّقل هيئاتٍ تصير بها دالَّةً على أحوالٍ أخرى من أحوال القائل أنَّهُ متحيِّرٌ أو غَضْبان أو تصير به مُستدرِجة للمقول معه بتهديدٍ أو تضرعٍ أو غير ذلك، وربَّما صارت المعاني مختلفةً باختلافها، مثل أنَّ النَّبْرة قد تجعل الخبر استفهامًا، والاستفهامَ تعجُبًا وغير ذلك.[6]"

وما ذكرته آنفًا ما هو إلا غيضٌ من فيض إنتاجِ علمائنا الأوائل في مجال الأصوات، فقد وقف الخليل (ت 170 ه) في معجم (العين) على مصطلحاتٍ مرتبطةٍ بعلم الأصوات مثل المخارج وصفات الحروف، وأتمّ عمل الخليل تلميذه سيبويه (ت 180 ه) في الكتاب.

ومع أنّ هذا الفرع من العلوم اللغوية قد أُولي عنايةً فائقةً عند العلماء المسلمين، لا سيّما عند أوّل من دوّن علومها أمثال الخليل بن أحمد، وتلميذه سيبويه، إلا أنّنا وجدنا أنّ هذا العلم أصبح تنظيريًّا بحتًا في مدارسنا وجامعاتنا، مع أنّه المادة الأولى للكلام، وبه تتمايز اللغاتُ، فإتقان الصوت يعني إتقان اللغة. وغياب الجانب التطبيقي لعلم الأصوات في مدارسنا وجامعاتنا أدّى إلى جعل دارس العربية من أبنائنا لا يُتقن نطق حروفها، مع أنّ الذين درسوا في الكتاتيب ترى أهمَّ ميزاتهم مقدرتهم في نطق الحروف من مخارجها وتمتعهم بالإداء اللغوي المتقن، فهل كان "شيخ الكُتَّاب" أكثر حرصًا على لغتنا ممن أنشئت لهم كليّاتٌ و أقسام لعلوم العربية، أم أنّ شيخ الكتاب عرفَ حاجةَ الطالب أكثر من المدارس والجامعات؟ أليس مفزعًا ألا نجد إلا قلة من طلبة قسم اللغة العربية، ممَّن لا يتهيبون الكلامَ بالعربية الفصيحة، ويثقون بقدرتهم على ذلك؟

والغريب أن علم اللسانيات الذي يُدرَّس في بعض جامعاتنا لا يُعلِّم كيفية توظيف علم الأصوات، و إنما يكتفي بعرض مباحث علم اللسانيات. وربما هذه الأَزمة بين التنظير اللغوي والتطبيق الو اقعي لهذا التنظير لا تقف عند العرب وحدهم، بل تتعدى ذلك إلى أمكنةٍ العالم الأخرى، لكنَّ اللُّغويين والباحثين الغربيين تنبهوا إلى هذا الخطر فأنزلوا أبحاثهم التنظيريّة على أرض الو اقع فأينعت ثمارًا عمليةً في تعليم اللغة ونذكر ههنا H.E. palmerالذي شغل منصب أستاذٍ بمعهد ترقية تعليم اللغات بطوكيو وهو مؤلف مجموعة من الكتب باللغة الإنجليزية منها:

1- Agrammar of spoken Englishlenders 1924.

2- Agrammar of English words loaders 1938.

فقد قام هذا الباحث بدراساتٍ نظرية تهدف في مجملها إلى تطوير طر ائق تعليم اللُّغات وهي الدّراسات التي ما زالت إلى الآن تأخذُ مكانتَها العلمية. فهو لم يألُ جهدًا في توظيف اللسانيات التطبيقية في تعليم نطق أصوات اللغة الإنكليزية، فقد وظّفها في مجال حلّ المشكلات المرتبطة بالمستوى الصوتي، أما نحن فلا شكّ أن ثمّة دراساتٍ مهمةً في هذا الصدد، لكنّها لم تُول العناية التّامة ولم توظَّف في منهج تعليم اللغة العربية سواء للناطقين بها أو للناطقين بغيرها، فمن الدِّراسات العربية المهمة في هذا المجال كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس و علم الأصوات للدكتور كمال بشر، والمنهج الصوتي للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين، وأصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب...إلخ، إلا أنّ هذه الإنتاجات اللغوية المتميزة بقيت مراجع لطلاب الدراسات العليا، ولم تستثمرها الجامعات العربية في المراحل التعليمية الأولى.

وبعد هذا العرض الموجز لو اقع علم الأصوات في تعليم العربية، أعرض بعض الاقتراحات في كيفية الإفادة من اللسانيات التطبيقية في هذا الموضوع:

1- لابد من اقتراحٍ جديدٍ تُعدَّلُ فيه مناهجُ دراسة اللغة العربية في الجامعات، من الناحية اللغوية. فلِمَ لا تُوضع في قسم اللغويات مادة الصوتيات قبل الصرف والنحو أو معهما جريًا على التقسيم اللساني للغة؟ فالتقسيم اللساني يسير على أنّ اللغةَ تقوم على الصوتالفونيم (ثم البنية)المورفيمثم التركيب، فهل يستقيمُ ألا يكون في السنة الأولى مادة ترتبط بعلم الأصوات؟

2- بعد وضع مِنهاج مادة الصوتيات في السنة الأولى على الكلية أن تختار أستاذًا ضليعًا في الصوتيات، ممن أُوتي خبرة في نطق حروف العربية ومعرفة مخارجها وصفاتها و إتقانه لتنغيمها ونبرها لتدريس هذه المادة، ووضع مفرداتها.

3- يتعرَّفُ الطالب في هذه المادة جهازَ النطق، ومخارج الحروف، وصفاتها، تنظيرًا وتطبيقًا. وتدْمَجُ في هذه المادة الأبحاثُ المرتبطة بالإعلال والإدغام التي تُدرّس في الصرف مع أنها لصيقة بعلم الأصوات.

4- من المفيد جدًّا إعدادُ مخبرٍ صوتيّ يُشرِفُ عليه أستاذُ الصوتيات، ويُستفاد من طرق الآخرين في وضع لوحات تحدِّد مخرج الحرف والصور التي تعتريه، وحبذا إيجادُ رموزٍكتابيةٍ تحدِّدُ كيفية النطق، كتحديد نطق الترقيق والتفخيم....إلخ. وفي هذا المخبر تتمُّ أمور مهمة في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها حيث إننا نستطيع فيه نقل الجانب النظري إلى جانبٍ عمليّ، فتحديد الوحدات الصوتية في اللغة العربية مهم جدًا بالنسبة لمتعلمها من غير أهلها فالمثال المعروف في هذا المجال هو التفريق بين ساروصار وبين طين وتين فيدرّب الناطقون بغير العربية على كيفية نطق هذا الصوت في المختبر الصوتي؛ حتى تتأقلم أجهزة نطقهم مع هذه الظواهر الصوتية، فعلم الصوت الفونولوجي يخدمنا كثيرًا في تعليم الطالب الفوارق بين الصوتين حيث إننا نركِّزعلى اختلاف المعنى ونستعين به في إعانة الطالب على نطق الحرف؛ إذ إنَّ جملته العصبية ستوجه عامود الهواء إلى حواجز تتفق مع معنى الكلمة المراد نطقها، فعندما يدرك الطالب في ذهنه أنه إذا وضع دالاً محلَّ الضاد في ضلَّ فتخرج منه دلّ فهذا يخرج الكلمة عن المعنى المستعملة فيه، وهذا سيجعله يحرص على تغييروضع لسانه لنطق الضاد بشكل صحيح يفيد المعنى الذي يريده وهو الضلال وليس الدل على مكان ما.

5- يُعلَّم الطالب توظيف التنغيم (Intonation) في نطق الجمل، وهذا التوظيف لا يؤدّي فقط إلى إتقان نطق الأصوات، وإنما يجعل الطالب يتكلم لغة سلسةً مقبولةً عند السامعين، ويرافق التنغيم (Intonation)تعليم الطالب طريقة النبر(Stress) في العربية، وهذا لا يتحقق إلا بعد تعريفه بمقاطع الكلمة و أقسامها في اللغة العربية.

6- تُخصص في السنة الأولى ساعاتٍ لما يُسمَّى بالأداء اللغوي، تُطبق فيها البحوث التنظيرية التي أخذها في علم الأصوات، وتكون هذه الساعاتُ مشابهةً لما يُعرَف بساعات حلقات البحث في قسم اللغة العربية، ومقابلة لساعات القسم العملي في الكليات العلمية.

ثانيا-المستوى الدلالي:

إن المستوى الدلالي أصبح علمًا قائمًا بذاته ويعد من أهمِّ الدراسات اللسانية التطبيقية، وذلك لما يعطيه للغة الإنسانية من حيوية ترتبط بالإنسان وبفهم الوجود والكون، وقد ظهر مصطلح علم الدلالة (Semantics) في أوربا كما يرى بالمر سنة 1948 .[7]ولم يُعرف هذا المصطلح في تراثنا اللغوي العربي مع أن إرهاصاتٍ كثيرةً قد وجدت في مصنفات العلماء المسلمين فيها كثيرٌ من ملامح علم الدلالة كما في الخصائص لابن جني والصاحبي

لأحمد بن فارس والمخصص لابن سيده.

وعُرّف علم الدلالة تعريفاتٍ عدة أشهرها أنه" : علم دراسة المعنى[8]"لكن هذا المعنى لا يعطي الوظيفة الحقيقة لعلم الدلالة؛ فالمعجم يهتم بالمعنى والبلاغة تهم بالمعنى، ولهذا فإن الأنسب أن نصيغ تعريفًا يتفق مع الوظيفة الحقيقية لهذا العلم فنقول: "إنه العلم الذي يدرس معاني الرموز اللغوية وفق سياقاتها ونستطيع اعتمادا عليه توزيع المفردات ومعانيها وَفق حقول تحقق الترابط بين الكلمات ودلالاتها فهو العلم المعين على فهم العلاقة بين الدوال ومدلولاتها."

وكما ذكرت آنفًا فإن هذا العلم لم يكن غريبًا عن علمائنا الأوائل فنجد بين ثنايا مصنفاتهم كثيرًا من إرهاصاته لا سيما في معاجم المعاني مثل الغريب المصنف للقاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت 429 هـ)، والمخصص لابن سيده (ت 458 هـ).

إن هذه المادة تعدُّ من المواد الحيوية التي ترغِّب الطلاب في التبحر في اللغة إن أُحسن توظيفها عمليًّا، لأنها تجعل الطالب مرتبطًا بالعالَم المحيط به؛ لأنَّ هذا العلمَ يسعى إلى إدراكِ معاني كلِّ ما في الوجود وَفق السياقات التي يرد فيه.

فينبغي أن يُعطى الطالب في سنة من السنوات مادةً مستقلة مرتبطةً بهذا العلم، يتعرف فيها ما قدّمه الأجداد، وما يقدمه الغربيون في زمننا، وفي هذه المادة يعرِّف المدرس طلابه بنظريات الحقول الدلالية، وكيفية الربط بين مفاهيم عديدة اعتمادًا على الدلالة، ومن ثم صناعة معاجم حقولٍ دلالية، تتفق وتطورات العصر، بحيث يعرف الطالب كيف طُوِّرهذا النوع من المعاجم، وما الجديد في هذا الباب الذي عرفه تراثنا، وأُطلق عليه مصطلح معاجم المعاني، ويمكن أن يتعرف الطالبُ طريقةَ توظيف الحقول الدلالية في مجال تعليم اللغة لغير الناطقين بها. فعاجم الحقول الدلالية تمثِّل الجانبَ التطبيقيَّ للدراسات الدلالية.[9]

و أقرب تعريف للحقل الدلالي هو تعريف جورج مونان الذي بيَّن أنه: "مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهومٍ عامٍّ يُحدِّد الحقل "[10]فهو أبسط تعريف جامع لمعنى الحقل الدلالي، فكلمة شجرة مفهوم عام تندرج تحته أشجار البرتقال، والتفاح واللوز، والمشمش...إلخ، هذه الألفاظ تمثِّل وحداتٍ معجميةً حاملةً لمفاهيم معينة تتفق ومفهوم الوحدة المعجمية الشجرة، ومن مجموع الوحدات المعجمية ومفاهيمها يتكون حقل دلالي مستقل. فهو قِطاعٌ دلاليٌّ مترابط، يتألف من مفردات اللغة التي تعبرعن تصورٍأو رؤيةٍ أو موضوعٍ أو فكرةٍ معينة، فالكلمات المكوِّنة للحقل الدِّلالي ترتبط بموضوع معين وتعبرعنه .[11] فنفهم معنى الكلمة من علاقتها بالكلمات الأخرى، داخل الحقل الدلالي؛ لأن الحقل الدلالي هو الذي يحصر العلاقات بين الكلمات حتى يفهم معناها وعلاقتها بالمفهوم العام.

فإذا استطعنا الربط التطبيقي بين التنظير الدلالي وتطبيقاته فإننا سنعين الطلاب على فتح مجالات كثيرة أمامهم تسهم في زيادة رغبتهم في تعلم اللغة العربية، وتؤدّي إلى إيجاد مشاريعَ لغويةٍ يُستثمر فيها الطلاب المتعون بمقدرات ذهنيةٍ وتفوقٍ واجتهادٍ علمي في هذا المجال، كأن نُصنف حقولًا دلالية لأكثر الكلمات شيوعا في مجالات الحياة العامة مثل حقول التسوق والسفر والتعارف أي الموضوعات المرتبطة بحاجات متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها. لأننا نعاني في تعليم العربية لغير الناطقين بها من عدم وجود مدوّنة لغويةٍ محتويةٍ لأكثر الكلمات العربية شيوعًا) استعمالاً (في الحياة العامة، فلو أتْقَنا تدريس هذا المستوى للطلاب فإن الطلاب أنفسهم سيكونون عونًا للأساتذة في تجميع هذه الحقول الدلالية، ومن ثم تأليف كتبٍ تحقق الفائدة المنشودة لناطقين بغير العربية.

ثالثا-المستوى المعجمي:

الغريب أنَّ الطالب يتخرج في الجامعات وهو يظنُّ أنَّ فائدة المعجم لا تتعدى استخراج معاني الكلمات، وهذا خطيرٌ جدًّا؛ لأنَّ المعجم حاوٍ لحضارة الأمة، أدبًا وشعرًا وفكرًا، فهل يقبل من كلياتنا أن يتخرج الطالب وهو لا يدرك كنه معاجمه ووظيفتها ودورها الحضاري؟

إذا؛ لا بد أن تخصص مادة لتدريس المعجم، صناعةً ودراسةً، ليتعرف الطالب مناهجَ صناعة المعاجم، و أنواعها، ويُدرَّبُ على صنع نوعٍ منها مستفيدًا من اللسانيات التطبيقية في هذا الجانب.

ومن ناحية دراسة بنيات المعجم فعلى الكلية تزويدُ الطالب بطرق دراسة المعاجم من الناحية الصوتية والبنيوية والتركيبية والدلالية، أي أن يدرسَ طبيعة موادها ليعرف مستوياتها اللغوية، وتطور مفرداتها التاريخي، فيعرف انتشار الفصيح والمولَّد والعامي والمعرَّب في معاجمنا، كما أنه يعرف كيفية جعل المستوى اللغوي في المعاجم مناسب للمستعمل الذي صُنِّف المعجم له، فمكتباتنا العربية تفتقر إلى معجمٍ استعمالي يحصر الكلمات العربية الأكثر شيوعًا واستعمالاً، كما في معاجم اللغة الإنكليزية، واستثمار هذا النوع من المعاجم يتجلى في تعليم العربية لغير أبنائها، أي أننا نستطيع وفق هذه المعاجم تزويد الطالب بمخزون لغويٍّ يعينه على التواصل مع أبناء اللغة العربية، وذلك لا يكون إلا عندما نقوم بعملياتٍ إحصائيّةٍ دقيقةٍ توفرها لنا وفرة الطلاب في الكليات حيث يكلفون بإعداد استبانات لغوية لحصر أكثر الكلمات شيوعا في شتى مجالات الحياة، ثم نقوم بغربلة هذه الاستبانات وتصفيتها حتى نصل إلى معجم حاوٍ على ثلاثة آلاف كلمة مثلا أو أكثر نجعلها في كتب لطلاب اللغة العربية من غير الناطقين بها، وبهذا فإن التلاقي واضح بين الحقول الدلالية والمستوى المعجمي فكل منهما يكمل الآخر، أما من الناحية البحثية، فأرى أهمية البدء بمشاريع دعا إليها لغويون معاصرون أفادوا من مصطلحات علم اللسانيات أمثال الدكتور محمود فهمي حجازي الذي دعا إلى البدء بمعجم يضم المتلازمات اللغوية ومعرفة

السياقات التي توضع فيها؛ لا شك أن عددًا من اللغويين، يرى أن المعجم الحاسوبي أو التفاعلي ينبغي أن يحتوي هذه الأشياء، لكن هل ننتظر ظهور المعجم التفاعلي، أم نبدأ بمشاريع مستقلة ربما يفيد منها المعجم التفاعلي، والذخيرة اللغوية، والمعجم التاريخي، ولا يتحقق ذلك إلا بعرض جميع أنواع المعاجم قديمها وحديثها، فلا بد أن يتعرف الطالب ما جدّ في الصناعة المعجمية التي فرزت محتويات المعاجم السابقة إلى معاجم مستقلة، فصار عندنا معاجم للتعابير الاصطلاحية، ومعاجم الحقول الدلالية، ومعاجم المتلازمات اللفظية، وسأقف عند نوعين من هذه الأنواع وهما معاجم التعابير المصطلحية ومعاجم المتلازمات اللفظية؛ لأنني قد ذكرت سابقًا موجزًا عن معاجم الحقول الدلالية:

1-معاجم التعابير الاصطلاحية:

التعبير الاصطلاحي:

يُطْلِق عليه بعض الباحثين المغاربة مصطلح الألفاظ المسكوكة، لكنَّ المصطلح الذي انتشر وكُتب له الذيوع، هو التعبير الاصطلاحي ترجمةً لمصطلح(Idiomes) ، وهو: عبارةٌ لا يُفهم معناها الكُلّي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضمِّ هذا المعاني بعضها إلى بعض فهو مجموعةُ كلماتٍ تُكَوِّن بمجموعها دلالةً غير الدلالة المعجمية لها مفردةً ومركبةً، وهذه الدلالةُ تأتيها من اتفاق جماعةٍ لغويةٍ على مفهومٍ تُحمِّله لهذا التجمع اللفظي.

مثال" :أسلم رجليه للريح"الدلالة المعجمية: أعطى رجليه للريح، لكنّ دلالته عند العرب لا تعني هذا المعنى، و إنما تفيد هرب الإنسان مسرعًا، أو فراره من أمرٍ من الأمور، وقد أتت هذه الدلالة من اتفاق الجماعة اللغوية العربية على تحميله هذا المعنى.

فتكوين التعبير الاصطلاحي قائم على" سلسلةٍ من الكلمات التي تُقيِّدها عوامل دلالية وتركيبية تجعل منها وحدة" "دلالية جديدة.

إلا أننا لا نجد اهتمامًا ملحوظًا بهذا المجال ذي الأهمية العصرية في تدريس اللسانيات في جامعاتنا، مع أنه شديد الأهمية في أكثر من مجال، فبالنسبة للطلبة العرب مهمٌّ لما يعطيهم من أساليبَ لغويَّةٍ تنمّي أساليب كتاباتهم، وبالنسبة للطلبة من غير العرب، فإنه يزيد من مخزونهم اللغوي، كما ان له فائدة عظيمة في مجال الترجمة الآلية.

فينبغي أن يعرَّف الطلاب هذا النوع من المعاجم وأن يعطوا الأدوات التي تعينهم على إنجاز أبحاث علمية مرتبطة بهذا المجال الحيوي من مجالات اللسانيات التطبيقية.

2-معاجم المتلازمات اللفظية:

تُعنى هذه المعاجم بتصنيف الكلمات الملازمة لبعضها دائمًا مثل ملازمة صفة لموصوف كقولنا" مطرٌ

غزير "فإنّ الصفة غزير تدلُّ على كثرة نزول المطر، وتكون ملازمةً في أغلب النصوص للموصوف المطر. وتعاني مكتبتنا العربية من ندرة هذا النوع من المعاجم.

وهذا النوع من المعاجم مهمٌّ للناطقين بالعربية وللناطقين بغيرها فهو يعين أهل اللغة على اختيار الكلمات الأنسب في كتاباتهم، ويجعل اللغة ممتعة بملكة السليقة اللغوية المتفقة مع أساليب العرب، أما غير الناطقين بها فإنّ هذه المعاجم تساعدهم على إزالة التداخل بين لغتهم الأم واللغة العربية؛ لأنّ المتابع لعملية تعليم العربية لغير الناطقين بها، والمحتك مع طلبتها يلحظُ أنّ أكثر أخطاء الطلاب ترتبط بهذه الناحية اللغوية؛ إذ إن الطالب لا يعرف الحرف الفاصل بين فعلٍ وآخر فتراه يضع الفعل ولا يفصل بينه وبين الفعل الثاني في ترتيب الجملة فيقول مثلاً:

أحبُّ أذهبُ بدلاً من أحبُّ أنْ أَذهبَ

أريدُ أخرجُ بدلاً من أريدُ أنْ أَخرجَ.

ويمكن استثمار الحاسوب لإنجاز النوعين السابقين من المعاجم؛ لأنَّ الآلة تسهّل عمليات الإحصاء وتعين في اختزال الوقت وتحقق الدِّقة في النتائج، ولهذا فينبغي أن تصبح مادة اللسانيات الحاسوبية (Computational linguistics)جزءًا من المواد التعليمية التي يتلقاها الطلاب، لنفتح أمام طلابنا بابا مازال جديدا لخدمة اللغة العربية وهو علم اللسانيات الحاسوبي وسأقدم لمحةً موجزة عنه:

علم اللسانيات الحاسوبي:

أوجز تعريف لهذا العلم هو: أنه يقوم على ربط اللغة بالآلة، هذا المجال الفسيح الجديد يفيد منه كل اللغويين الذي يريدون أن يوظِّفوا الحاسوب خدمةً لمجالهم، لاسيما الذين يعملون في مجال الإحصاء اللغوي، والترجمة الآلية، وصناعة المعاجم الإلكترونية، ولا شكّ أنَّ قضية البرمجة مرتبطةٌ بهندسة الحواسيب، لكن ثمَّة برامج مكتبية تحقق لطالب اللغة خدمات كثيرة، لاسيما برامج قواعد البيانات مثل: الأكسس الذي يسهّل على الطالب معرفة انتشار ظاهرة من الظواهر اللغوية.

كان هذا عرضًا موجزًا لكيفية توظيف اللسانيات التطبيقية في تعليم العربية وهناك مجالات أخرى تحتاج إلى دراساتٍ مستقلة أذكر منها: المرصد اللغوي، ومع أنّ قضية رصد الكلمات ليست وليدة اللسانيات، إذ إن عددًا غير قليل من المفردات رُصدت في أزمنة سابقة في كتب اللحن وفي المعاجم، إلا أنَّ الإفادة من اللسانيات هنا تتحقق فيما دعت إليه اللسانيات في جانب تطبيقي من جوانبها، وهو علم المصطلح الذي يبين أهمية تعليم الطلبة المباحث المنطقية المتعلقة بالمفاهيم وكيفية إيجاد الألفاظ لها، فهذا الأمر يؤدِّي إلى تعرف كيفية إيجاد ألفاظٍ لمفاهيم يرصدها المرصد اللغوي المعاصر، ولا يستثني مكانًا له علاقةٌ بتوليد الكلمات والأساليب الجديدة،

لاسيما وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة.

إن كلّ غيور على هذه اللغة وكل غوّاص في بحرها همه الأول أن يراها دائمًا في أعلى مقام تستحقه ولا يتحقق هذا إلا ببث روح التجديد في مناهج تدريسها وتعليمها، واللسانيات تُعد مجالا رحبا لبث هذه الروح المجددة.

الاقتراحات:

1-إدخال مادة اللسانيات التطبيقية إلى السنة الأولى الجامعية.

2-تعليم مادة الأصوات في مختبرٍ لغويٍّ عصريٍّ لا سيما للطلاب غير الناطقين بالعربية.

3-تعريف الطلاب على كيفية الإفادة من علم الدلالة وعلم المعجم في إيجاد مشاريع لغوية تخدم اللغة العربية.

4-العمل على ربط طالب اللغة العربية بالمجتمع الذي يعيش فيه، وذلك من خلال استثمار اللسانيات التطبيقية في تعليم اللغة العربية.

5-الإفادة من الحاسوب في إنجاز المشاريع المعجمية المعاصرة.

المراجع:

- د. أحمد عزوز، أصول تراثية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.
- د. أحمد مختارعمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- ر.ه روبنز، مُوجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.
- د. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- د. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.
- د. عبد العزيز مطر، "علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين"، اللسان العربي، م 7، ج 1، 1970م.
- ف. ر.بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- د. محمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، 1997.

الهوامش:

[1]ولد في جنيف سنة 1857، وبدأ حياته بعلم الكيمياء ثم انتقل إلى دراسة اللغات ونقل دراسته إلى جامعة ليبزج حيث تابع دراساته اللغوية ولم يكتب كثيرًا من المؤلفات اللغوية، حتى إن محاضراته في علم اللسانيات لم يحضر طباعتها، وإنما جمعها وطبعها طالبان من طلابه هما بالي (Bally) و سيشهاي (Cechehaye)وتعددت ترجمات هذه

المحاضرات فمنهم من أطلق عليها محاضرات في اللسانيات العامة ومنهم ومن سمَّاها دروس في اللسانيات العامة. بتصرف من: د. محمد حسن عبد العزيز، سوسيرر ائد علم اللغة، ص 9-13.

[2]يُنظر : رهـ روبنز، مُوجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص21.

[3]يُنظر : د. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية، ص 8.

[4]السابق بتصرف، ص 12-13.

[5]د. عبد العزيز مطر، "علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين"، ص52"

[6]د. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 266.

[7]بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ص 10.

[8]د. احمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 11.

[9]د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 18.

[10]د. أحمد عزوز، أصول تراثية، ص 13.

[11]السابق، ص 12.